
يوماً ما سأكون
شمساً
جيلان الشمسي
دار العين للنشر

يومًا ما .. سأكون شمسًا

يومًا ما .. سأكون شمسًا

(قصص قصيرة)

جيلان الشمسي

الطبعة الأولى / ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م



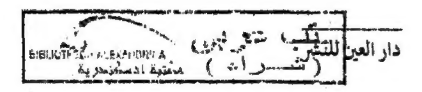
دار العين للنشر
٩٧ كورنيش النيل، روض الفرج، القاهرة
تليفون: ٢٤٥٨٠٣٦٠، ٢٤٥٨٠٩٥٥، فاكس: ٢٤٥٨٠٩٥٥
www.elainpublishing.com

الغلاف: بسمة صلاح
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٩٩ /٢٠١٠
I.S.B.N 978-977-490-078-5

يومًا ما .. سأكون شمسًا

قصص قصيرة

جيلان الشمسي



دار العين للنشر



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

الشمسي، جيلان.

يومًا ما .. سأكون شمسًا: قصص قصيرة/ جيلان الشمسي.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١١

ص؛ سم.

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٠ ٠٧٨ ٥

١- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان

٨١٣,٠١

رقم الإيداع / ٢٠٠٩٩ / ٢٠١٠

لروحٍ قلقة .. سعت نحو التحليق، وتاقت يومًا

للخلاص ..

المحتويات

خطيئة أولى – إنسان(ة)

واقع: أربعة جدران .. مرآة نصف مغطاة .. مقعد خشبي بثلاثة أرجل.. أطفئ سيجارتي داخل فنجان القهوة وأستمتع بمذاقه المشوب بالرماد في فمي .. المزيد من المهدئات يعطونها لي لجعلي أفضل حالًا دون انفعال.. دون تذوق.. دون حياة..

خطيئة: الكهرباء تمر عبر خلايا دماغي لتبعثني مجددًا لعالم مشيد داخل عقلي.. لم يعرفوا أني يوم انتزعت رحمي، كنت أتطهر من داخلي كيلا أنجب يومًا ما.. وجودًا بائسًا..

تلاشي

تنظر لوجهها المنعكس أمامها والذي بدوره يعكس صورة أخرى منها أكثر صغرًا، التي تعكس بدورها...

عشرات اللوحات تتصاغر متداخلة حتى المدى الذي يتكون بملامحها المموهة..

تستمتع بإزجاء وقتها في تأمل الصور التي صنعتها لنفسها أمام مرآتها الأثيرة.. تلتقط أحيانًا عدم وجود إحدى عينيها.. تقترب.. تجد عينيها تتكونان أمامها ببطء.. ربما أكثر اتساعًا مما كانت.. اللون كان أكثر غمقًا.. أو ربما أي شيء آخر لم يعد على ما يرام بها..

تلك المرة، الفم صار أكثر اعوجاجًا مما كان.. أو أكثر اعتدالًا.. لم تعد تذكر.. لكنه حين يتلاشى من أمامها.. تتذكر أنها ربما كانت دومًا دون فم..

يحدث أن يدخل أحدهم في أي وقت من اليوم ليحدثها في شئ ما.. تتسلى بنقل المشهد داخل مرآتها المعلقة مراقبة بطرف عينيها الجسدين وهما ينفعلان.. يتحركان.. يتحاباان..

حركة الشفاه التي دومًا تتأخر لثانية عن وقت النطق.. وهو ما حاولت طوال الفترة الماضية حلّه دون جدوى..

لا تدري حتى الآن لماذا انفعل زوجها بحدة يوم طلبت منه أن يفعلاها أمام السطح المصقول.. ما لاحظته هو أنه حين يكون عصبيًا، رأسه داخل المرآة يميل قليلًا.. وهو ماكان كفيلًا – حين لفتت نظره إليه – أن يغادر المنزل نهائيًا..

ما يمكنه حقًا ترك ابتسامة على وجهها الذي تيبّس من اللاانفعال، هو حين يعابث أحد الانعكاسات صاحبه.. تراه داخل المرآة أكثر استطالة أو أكثر عرضًا مثلًا..

بل إن الأمر وصل – حكت لي هذا وهي تكاد تقسم على صحته – إلى أنها كانت تشاهد انعكاس أختها ووجدت الملابس بألوانها مختلفة تمامًا..

أعرف هذا وأصدقه جيدًا.. بل أصدق عشرات القصص الأخرى غيرها التي لا تتوقف عن حكيها طوال الوقت..

كانت مغادرة الزوج سببًا من الأسباب التي دعت الجميع لمحاصرتها داخل الغرفة.. يحدثونها عن ضرورة خروجها.. رؤيتها للحياة.. تحدثهم عن أن السماء والأشجار لا انعكاس لهم.. تفكر ربما في صنع مرآة عملاقة تستوعب الكون داخلها..

بمرور الوقت، بدأت زياراتهم لها في الخفوت.. صارت أكثر حرية في انتزاع جميع ملابسها.. تمرير يدها فوق كل ثناياها كأنها لم ترها من قبل.. تلك الارتعاشة التي تنتابها حين تقوم بإلصاق جسدها العاري في السطح البارد للمرآة..

حين كنت أقترب منها بحدة، كانت تنسى ذلك السطح الأصم مستمتعة بالذوبان فيّ ومضاجعتي لإطفاء نيران جسدها.. أحيانًا كانت تبتعد.. تتأملني للحظات فيجرفها الحنين لتعاود الاقتراب مجددًا مني..

يومًا ما أخبرتني حين انتهينا أنها لا تدري لماذا تشعر بأن كل ما بها مخطوط.. لوحة داخل كتاب قامت يد فنان بخطها يومًا.. كأحرف مثلثة أو دائرية..

سمعت أن الدائرة هي الشكل الأكمل بين جميع الأشكال الهندسية.. قالها أحدهم يومًا وبنى فوقها مئات النظريات..

تطربها الفكرة.. تلف يدها صانعة منها دائرة مغلقة.. صارت كل الأشكال معًا..

الموسيقى المحببة لقلبها تنبعث من مكان ما.. تتحرك في جميع أنحاء الغرفة.. أتحرك معها.. تقفز.. أقفز.. تتمرغ أرضا.. أتمرغ معها.. تدور.. أدور.. تتوقف تعبة لتلتقط أنفاسها.. أستكمل دوراني المحموم..

تبتسم لي.. أعشق تلك الابتسامة وأحاول تقليدها طوال الوقت دون جدوى..

اليوم بلغ بي التعب أشده فمللت الانعكاس..

أراقبها وهي تبحث عني.. تبتعد بجسدها عن المرآة قليلا ثم تقترب فجأة.. إحساس من الفقد ينتابها حين تجدني جالسة أرضًا بلا حراك..

تشتاق لتلامسنا مجددًا.. بعض الدفء ينسيها السطح البارد للمرآة.

تهبد جسدها عدة مرات.. مازلت بلا حراك.. أتأملها كمشهد منزوٍ داخل ذاتي.. تستكمل حركتها دون توقف حتى ينشرخ السطح الملامس لها..

تزداد نتوءات جسدها.. الإجهاد ينتابها فلا تجد مفرًا سوى تقليدي جالسة على الأرض قليلًا..

* * *

كان ثوبًا أزرق ذلك الذي رأيتها به لآخر مرة..

ينزعون مرآتها المحطمة وآلاف الأشلاء الزجاجية التي اخترقت مسام جلدها..

أمرر يدي فوق وجهي عالمة أنها في مكان ما تفعل نفس الشئ في نفس الوقت.. يدهشني كيف أن ذلك الوجه الدائري قد صار فجأة بلا ملامح..

نشيج

الشارع المظلم.. الخالي.. الممتد أمامي بلا نهاية ينذرني بقرب الإخلاء..

أقف أمام البناية ليذيبني الانتظار.. ذلك الصقيع الملتف حولي يعصف بي ليزيد من رغبتي في ترك المكان كله..

وجه ما ألمحه يتسلل من خلف إحدى النوافذ ليتأمل تلك الفتاة التي تقف وسط ذلك الشارع المقفر في مثل ذلك الوقت..

عيناي تتسللان نحو عقارب الساعة عشرات المرات.. فقط قدماي مازالتا لا تطاوعاني على الرحيل..

دقات الأحذية الثقيلة تفد مخترقة أذني لتزيد من توتري.. يختلج ما بداخلي رغبة في الابتعاد عن ذلك المكان..

الضباب القارص يخلف البناية التي أقف أمامها.. أتراه لم يسمعني جيدًا وانتظرَ أمام بناية أخرى.. شارع آخر.. صقيع آخر يغلفه؟..

صوته كان متقطعًا متلاشيًا وسط أثير الهاتف مثلما أتلاشى أنا الآن وسط تلك البقعة التي ابتلعتني..

تلك البرودة التي تجمِّدني.. (نصف ساعة).. بضع قطرات تزيد ابتلال نفسي.. (نصف ساعة).. دقائق أخرى وأرحل.. (نصف ساعة).. دقات الأحذية التي تقترب..

يتراءى أمامي ذلك النفق المتواري أسفل قضبان القطار.. ضوءه الخافت الممتد من مدخله مخترقًا ذاتي.. أغلق معطفي وأجدُّ السير نحوه قبل أن تلحق بي المزيد من الدقات..

هو واحد من تلك الأنفاق التي بنيت يومًا ومازالت تزخر بها المدينة حتى الآن.. يمر أسفل قضبان القطار القديم حاملا أوجه الناس ما بين الرحيل والقدوم.. لم أعد حتى أدري هل مازال ذلك الخط مستخدمًا أم لا.. لم آت لذلك الجانب من المدينة منذ فترة، ولا أدري ما جعلني أوافق حديثه المبتور وأنتظره في تلك البقعة..

السلالم الحجرية التي تهبط بي نحوه.. الباب الحديدي الصدئ الذي لا أعرف له استخدامًا حتى الآن..

ما طمأنني هو أنني حين أقف عند أول النفق وأرنو لأعلى أرى البناية واضحة والبقعة التي وقفت عندها يومًا ما تزال خالية.. أيأتي أم ينكرني؟؟.. الدفء الذي يهب عليّ من الداخل يدفعني دفعًا للتواري داخل النفق..

كان النفق خاليًا.. معبقًا برائحة الفراغ الذي أعشقه.. لا يضيئه سوى بضع مصابيح متناثرة على جانبي السقف بنورها الأصفر الصارم..

لا أحد كان هناك.. لم يشعروا بعد بضرورة الإخلاء.. لم يسمعوا الدقات التي تغلف المدينة.. أو ربما هم متوارون مثلي في الأنفاق المجاورة..

لم يكن هناك سواي في المكان وسيدة ما تجلس على امتداد النفق أمامي.. يداها الممتلئتان بالعروق.. ظهرها المتكئ فوق ذرات الجدار.. ملابسها التي صارت من قِدمها بلا لون.. يخالني الشعور بأنها هنا منذ الأزل..

ألقي نظرة أخيرة على البناية والرصيف الخالي أمامها.. لا أحد هناك.. حتى النافذة التي كانت تتلصص منها الأعين باتت مغلقة تمامًا..

ألقي بمعطفي أرضًا لأجلس فوقه.. يعلوني ذلك الضوء الأصفر المكتوم ويخترقني المصباح الآخر المقابل لي.. الأتربة التي تغلفه وتجعل لونه يزداد خفوتًا تثير داخلي المزيد من الشجن..

بجانب عيني ألمح السيدة وهي تخرج شيئًا ما من حقيبتها.. لم تكن حقيبة مثلما اعتدت من تلك الكلمة بل كانت قماشة رمادية قد خاطتها من جانبيها كيفما تراءى لها لتجعلها أشبه بخرج قديم.. أكانت القماشة

رمادية منذ زمن أم لون ما أخر زاهٍ، قبل أن تصير كل ملابسها رمادية اللون؟؟..

تخرج شيئًا ما وتضعه داخل فمها.. لم أستطع منع نفسي من التدقيق في وجهها الذي كان بدوره رماديًا.. تلتف فجأة نحوي بعينين صارختين فأشعر بغضبها لتلصصي عليها.. أعاود النظر في ساعتي.. المزيد من العقارب تمر..

أنهض.. أنظر نحو البناية.. لا أحد.. أعاود الجلوس..

– ستمطر اليوم.. أشعر بذلك..

–...

أكتفي بنظرتها نحوي وصمتها الذي يجوب المكان وأعاود الذوبان داخل ذاتي..

المزيد من الصمت الثقيل يقتلني يقطعه صوت دقات الأحذية وافدًا من أعلى..

– قادمون ؟؟...

– ...

أجفل قليلا محاولة كتم أنفاسي كي لا تقترب الدقات أكثر..

لا يبدو عليها القلق أو حتى الرغبة في التفكير.. تخرج شيئًا آخر لتضعه داخل فمها وتلوكه ببطء..

أزحف بجسدي قليلا نحوها رغبة في بعض الدفء الآدمي.. تنظر نحوي بحدقتيها الثابتتين وبوجهها الذي مزقته السنون ثم تعاود إخراج شيء ما من خرجها..

يقتلني صمتها.. مللها.. إيقاعها الذي بلا إيقاع.. لوهلة تنتابني الرغبة في تمزيق ذلك الخرج ورؤية ما به..

أعاود إسناد ظهري على الحائط ناظرة مجددًا للضوء الذي يعلوني وأنا أنعي معطفي الجديد الذي صار رماديا من كثرة الأتربة التي تراكمت فوقه..

ساعتي الأثيرة تطالعني مجددًا.. أيعرف أني داخل ذلك النفق أم وجد الرصيف خاليًا فرحل ثانية ؟؟..

صوتها الواهن يتسلل نحوي لأول مرة منذ جئت :

– لن يأتي.. انتظرته طويلًا و لم يأت..

–...

– أنكرني و لم يأت..

–...

أبتعد بجسدي عنها غير مصدقة.. لماذا تتحدث عنه.. أتعرفه ؟؟.. أينكرني؟؟.. رغبة في الرحيل تعتريني وغثيان ذهني يبدأ في التصاعد..

قسمات وجهها المثبتة داخلي.. ألحظ بعض الأجساد وقد بدأت تتوافد داخل النفق..

أبتعد عن جميع الرجال والنساء القادمين بأطفالهم لأتكوم بالقرب من الباب الحديدي الصدئ.. شعوري ببدء الاجتياح يزداد بزيادة الناس من حولي..

أصواتهم تعلو.. البعض ينشج بسبب صغر المكان وضوئه الخانق.. يزداد الصخب حين تبدأ بعض المصابيح في الانطفاء قليلًا..

الصفير يخترق أسماعنا حتى يكاد يذهبها تمامًا.. يتسلل التساؤل القلق من الأعين عن كونه صفير القطار الذي يمر من فوقنا وقد بدأ رحلته الأزلية أم هو صفير الإخلاء..

ألقي بجسدي كله أرضًا وأمسك قدمي بيدي في الوضع الجنيني المحبب لقلبي.. جسدي مازال يهتز بلا توقف والرعشة تجتاحني بشدة..

ترتج جدران النفق حتى تكاد تنهار فوقنا.. أهو القطار يمرق أعلانا أم أن الجرارات قد بدأت عملها ثانية؟؟..

الأعين الثابتة اعتادت المشهد من قبل مرارًا.. وأنا أيضا اعتدته لكنه كان دومًا معي..

أمسك خرجي وبقايا معطفي وأسرع بالنظر خارجًا.. لا شئ.. لا بناية.. بضع أكوام من الأحجار وذرات تراب تعلو البقعة التي وقفت فوقها يومًا..

صرير باب النفق الحديدي وهو ينغلق بعنف.. الصوت المكتوم للرمال والأحجار وهي تنهال عليه من الخارج..

لا حركة.. صارت كل محاجر الأجساد بالداخل ثابتة.. صوت نشيج أحد الأطفال يعلو لا يلبث أن تكتمه أمه بيدها في عنف..

أنهض من رقدتي.. لا أبغي التفكير هل انغلق الباب في الناحية الأخرى من النفق أيضًا أم لا.. الدوار يعصف بجسدي.. أترنح مستندة على الحائط باحثة عن السيدة..

ألمحها هناك نائمة أرضًا.. متكومة في الوضع الجنيني المحبب لقلبها..

أنام خلفها لألاصق جسدها.. أمرر يدي فوقها مستشعرة ببرودة ذراتها داخلي.. أغلق عيني وأنشج ببطء..

هالة

- "أهو أنت حقا ؟؟.. أعيانا البحث عنك.."

أومئ برأسي وأمرر نظري على الجدران من حولي.. الطلاء الذي سقط في أكثر من موضع.. تلك الرائحة الخانقة التي لا أطيقها..

تنساب الورقة التي تعطيها لي من بين أصابعي.. الأحرف المتلاصقة المكونة لاسمي.. تتفحص هندامي بحرص من أسفل عويناتها..

إيماءة منها تجعلني أتراجع للخلف ملتصقًا بالمقعد.. تضع الاستمارة أمامي ثم تتركني مغادرةً الحجرة..

تتصلب أناملي حول القلم لا تبغي التحرك.. القيظ الحار يتسرب من بين فتحات النافذة ورائحة المطهر النفاذة تهتك جدران أنفي..

أتأمل الحبر المتراص فوق الورقة الملقاة أمامي.. الكثير من البيانات أملؤها بضجر..

صوت صفق الباب يوقظني قليلًا.. جسدها يملأ الحجرة برائحة معطر يمتزج بالجو المحيط لجعلي ازداد اختناقًا.. تعبث بأناملها في أوراق تناثرت فوق صفحة مكتبها..

– "انتهيت ؟؟.. "

ابتسامتها الفاغرة تبتلع محيطي.. فمها الكبير يوشك على ابتلاعي داخلها.. لا أدري لماذا داخلتني الرغبة في الهرب من المكان مثلما كنت أفعل صغيرًا حين أجبر على المكوث في مكان لا أبغيه.. رغم أفكاري التي تعبث في رأسي أظل ثابتًا متلاشيًا في جمودي..

– لكنك تدرك الإجراءات.. أليس كذلك ؟؟..

–...

– ثوانٍ و ستتمكن من الاطمئنان عليه..

– لكن من هو ؟؟.. لم يخبروني من هو..

لا يبدو لي أن كلماتي قد عبرت حلقي لدرجة أنني توقفت قليلًا عن الحديث كي أتأكد فقط من أن صوتي قد عبر بالفعل أحشائي للخارج.. أفكر في تكرار سؤالي.. تشيح بوجهها عني فيتناثر صوتي باهتًا..

العقارب تلتف بعضها حول بعض متسارعة.. أحرك منكبي قليلًا خشية أن يعتريني الصدأ..

القطعة الحديدية تكمل دورانها لتذيقني مزيدًا من الهواء الساخن الذي يحتل رئتي ليزيد من عذابي..

أجيل ذهني في جميع من أعرفهم أو حتى لا أعرفهم حاسبًا احتمالات أن يكون أحدهم مريضًا دون أن أعرف.. عقلي المكدود يهدر بحركة المروحة المعلقة في السقف..

أتنهد بصوت مسموع.. ترفع رأسها لثوانٍ ثم لا تلبث أن تغرقها مجددًا خلف مملكة الأوراق المشيدة..

الرنين يوقظني.. تعبث يدها بالسلك وكلماتها تنبعث داخل جسد الهاتف..

مذاق القهوة التي لم أشرب سواها منذ الصباح ما زلت ألوكه في فمي..

ورقة أخرى تقتحم يدي.. أكثر طولًا من التي سبقتها.. أجيل نظري بين الورقة وبينها بضجر..

– سينقلونه عنبرًا آخر.

– من هو ؟؟..

تغلق كفي حول قلم آخر وابتسامة مغتصبة تعلو وجهها..

يسيل الحبر من القلم وسط الفراغات محيلًا أشلائي لأحرف متجاورة تملأ البيانات الناقصة..

تأخذ الورقة مني بعدما فرغت من كتابة اسمي عشرات المرات حتى نسيته، تضعها جوارها مكملة حديثها الهاتفي.. جسدي صار يزن أطنانًا.. مستميتًا أحاول إبقاءه في الوضع الرأسي..

– لن يتحسن قبل ثلاثة أيام.. يمكنك المرور مجددًا ؟؟..

أندب الصدأ الذي تكاثر فوقي من كثرة بقائي دون جدوى.. دون رد أهم بالنهوض، تتردد قليلا ثم توقفني بيد حازمة..

أمتزج بالمقعد مجددًا.. تتطاير الوريقات من حولي.. المزيد من الهواء الساخن يصهر ما بداخلي..

تتسع فرجة الباب لتدلف فتاة صغيرة عارية الرأس..

تقترب بخطوات دقيقة وتمد يدها بحلقة معدنية لأتوجها بها.. أرمق جناحيها الورقيان وقد ثبتتهما بطول ذراعيها..

– أتلك هالة ؟؟..

تبتلع الفتاة الكلمات الخارجة من فمي والدهشة تغمرها..

- لم يعد هناك من هالة..

أقولها وألمح القطرات الضئيلة وهي تتكاثر داخل مقلتيها..

- هل انتهيت ؟؟

ينتزعني الصوت الأنثوي بغتة، أناولها الورقة التي فرغت من ملئها..

أتلفت حولي.. تناثرت الطفلة.. أعبث بالحلقة المعدنية ما بين أناملي..

الظلام يبدأ في فرض سطوته داخل المكان.. ضوء النيون البارد يثير الغربة داخلي..

- هناك تغيير.. يمكنك استلام الجثمان الآن..

-...

- التوقيع.. استلام..

أنظر في وجهها بثبات وأمسك بالدائرة الحديدية مكللًا رأسي بها.. أصرخ بحدة وأنا أرتقي مكتبها :

- لكن من ؟؟..

صوت ارتطام الحلقة أرضًا.. تنظر لي مشدوهة.. يُصفق الباب..

دقات فوق أسطح زلقة

أن تعبر حدود ذلك الكوبري من إحدى فتحاته الثلاث.. صوت القطار يهدر فوقها معلنا عن قرب تركها لضجيج (محرم بك) ورائحته الخانقة التي تغلفها..

تمر من الفتحة الثالثة محاولة تفادي السيارات والظفر بلحظات صمت تتوق لها..

تهتز الجدران الداخلية للتجويف الحجري باهتزاز القضبان التي يبتلعها القطار أعلاها..

أكوام القمامة تتكدس معترضة طريقها.. بقايا جسد متكوم يجاور الحائط نائمًا بملابس لا لون لها.. رائحة التغوط والقيء تزكم أنفاسها فتجدُّ السير..

تطأ بقدميها أولى خطواتها في (وابور المياه).. صوت القطار الهادر يتلاشى من خلفها ذائبًا وسط الظلام المحيط.. تتوقف قليلا كأنما تود أن تحفر تلك الذكرى داخل ذهنها للأبد..

تمر بجوارها علب الصفيح التي تنغلق على سبع رؤوس متحجرة.. هي نفس النظرات الخالية الملتصقة بالزجاج التي نظرتها دومًا.. تشاهد العلب المتوالية، لن تحشر اليوم وسط ذلك الزحام الخانق كي تصل لشارع (أبو قير).. ستحفر اليوم بقدميها آثارها فوق تلك الأحجار الملساء..

تمسك جيدًا بالظرف الأزرق.. تطمئن من ثقله أنه مازال يجاورها.. تضغط بقبضتها عليه كيلا يفلت منها..

تسير بأبطأ سرعة عرفتها قدماها يومًا.. النسيم البارد الذي يعبث بشعرها.. يعجبها ذلك الصمت، الشوارع الخالية إلا منها وبعض الخيالات التي تسير على الرصيف المقابل.. الضوء الشاحب الذي يبدد الظلمة المطبقة يتسلل برقة نحوها..

دقات قدميها تبدد الصمت الأثير.. فقط هنا يمكنها السير بحذائها الجديد ذي الكعب العالي الذي اشترته من (السيلز) منذ يومين دون أن تخشى أن يهترئ بسبب نتوءات الطريق..

تلمح بفخر تنورتها الزرقاء.. يلفت نظرها وجود بقعة ما على الجانب الأيمن.. تجفل قليلًا.. تجذب قميصها لأسفل مخفية إياها عن الأعين.. تشعر بآلاف المحاجر تحدق في البقعة رغم الجو الموحش حولها.. يدها تقبض على الظرف أكثر فأكثر..

تتعالى أنفاسها.. الطريق طويل، خالٍ دون أية بادرة تلوح بنهايته.. كانت تقطعه من قبل في خمس دقائق داخل تلك العربات التي تمرق من جوارها فلماذا قررت السير اليوم..

يداها تبدآن في التصبب عرقًا فيبتل طرف الظرف..

تتأمل تنورتها مجددًا.. ترى البقعة وقد صارت أكثر استطالة.. لربما هي خدعة بصرية ما.. أضواء الكشافات الصفراء ترهق عينيها.. الومضات تتعالى متدفقة أمامها.. يتسرب الألم حثيثًا نحو قدميها من جراء الحذاء المرتفع..

صوت لهاثها يتناغم مع دقات قدميها.. تمر أمام سور أحد المنازل المهجورة.. تفكر في الجلوس على الرصيف أمامه كي تستريح قليلًا لكنها تطرد الفكرة من ذهنها كيلا تضيف بقعة أخرى..

دفقات من المياه تبدأ في الهطول فوقها.. تتلفت حولها.. لا أحد هناك.. بحركة سريعة تدفع بالظرف إلى داخل قميصها ضاغطة إياه على صدرها ثم تعقد ساعديها عليه..

تحاول الإسراع في خطواتها لكن تكوم المياه يجعلها تخشى السقوط وإثارة المزيد من البقع..

ومضات تترائى لها من بعيد.. سيارة أجرة ربما تنتشلها مما هي فيه.. تمسح وجهها من المياه التي تكاثرت فوقه..

تمرق السيارة أمامها مثيرة موجة طينية تلتصق بها.. تتأمل تنورتها المبللة.. تمازجت كل البقع مكونة مساحة شاسعة مغايرة في اللون تبتلعها كلها..

يسقط الظرف أرضًا وسط التجاويف الطينية.. لولاه لما صارت هنا.. تفكر في تمزيقه كي تتلاشى.. تتصاغر داخل نفسها مجددًا وتعتصره في يدها معيدة إياه لمكانه..

ربما إذا توقفت بانتظار سيارة أخرى.. أي سيارة.. تدس يدها في حقيبتها.. لا شئ سوى (ورقة بخمسة) مهترئة ومقطوعة حتى منتصفها.. أيقبلها السائق أم لا.. تطرد الفكرة من ذهنها مكملة سيرها الحثيث..

الألم لا يزال يتصاعد من قدميها مخترقًا عقلها.. انزلاقها يزداد فوق السطح الأملس.. وماذا إذا نزعت الحذاء وسارت حافية قليلًا حتى يهدأ الألم.. نظرة إلى الأرض الطينية أسفلها والبرودة المتطايرة منها تجعلها تعدل عن الفكرة..

تسرع من سيرها محاولة الاحتفاظ باتزانها.. السماء لاتزال تولول فوقها دون توقف.. أسوار (المير دي ديو) تحرسها.. تشتم رائحة الآلاف ممن وطأن تلك البقعة قبلها..

يلوح أمامها شارع (المنارة).. مظلمًا طويلًا كما يجب أن يكون.. لا يضيئه سوى الضوء الشاحب الوافد من وسط الأعمدة الحديدية..

تسير ببطء أمام الأسوار.. (تقرا الفاتحة) في سرها.. كتابات منقوشة فوق الجدزان تعد بشيء ما وتحذر من شيء آخر..

تتذكر يوم جاءت إلى هنا طفلة كي تزور الأموات ممن يرقدون خلف تلك الأحجار.. كان يوم عيد ربما.. أول يوم عيد..

السيدة العجوز التي تبيع (البرام).. وجهها الحافل بتقاطيعه المحفورة.. رغبتها في الارتماء داخل حضنها ومشاهدة الفخار بدلًا من السير داخل تلك الأسوار ورؤية الشواهد المتماثلة..

تتأمل الشارع الصامت.. الرصيف الخاوي.. وجه السيدة يتدفق من ذاكرتها.. رائحة ما تستنشقها في مخيلتها..

تتوقف قليلًا عن السير.. تفكر في فتح الظرف.. رؤية ما بداخل (ها).. ربما انتزاع الأوراق ونثرها على طول الطريق لتتناثر معها..

صوت خطوات يدق وسط الأمطار.. تلتفت للخلف.. لا أحد.. الصوت يتسارع.. تلتفت مجددًا.. لا أحد..

تضغط بساعديها أكثر على الظرف حتى تعتصره داخلها..

تتوقف.. الدقات لا تزال خلفها.. تتأمل الشارع الخاوي وجلة.. تعدو قليلًا فينتزعها الألم.. تكمل سيرًا..

براثن الأشجار المتجاورة تثير آلاف الأفكار في ذهنها.. تلك الظلال المتناثرة في كل مكان..

تتلفت في جميع الاتجاهات.. تخرج الظرف الذي بهت لونه الأزرق وتعتصره في يدها.. لا تأبه بابتلاله طالما هو معها..

تسرع من سيرها محاولة تفادي السقوط.. شارع (أبو قير) يلوح متعامدًا أمامها.. وقع الدقات يتسارع.. دقائق أخرى وتصل إلى حيث يجب أن تكون..

تجدها فجأة وقد صارت تجاورها.. بتنورتها الزرقاء ذات البقعة التي تخفيها بجذبها القميص لأسفل.. حذائها ذي الكعب العالي الذي اشترته من (السيلز) منذ يومين..

تسيران متجاورتين لتتحد الدقات.. تتأبط ذراعها تاركة الظرف يتهاوى من بين أناملها..

مقعد شاغر

أجلس فوق المقعد الخشبي ناظرة من النافذة المغلقة.. بقايا سيجارتي المشتعلة ما زالت تعانق أصابعي بتناغم أزلي..

يأتي أحدهم يجلس فوقي.. يشرب كوبي.. يعبث بعلبة سجائري ثم.. يرحل..

يأتي الثاني.. الثالث.. أنهض وأتوارى خلف العمود الذي طالما أزجيت وقتي بالكتابة فوقه..

شق صغير وسط أحجار العمود يترائى لي.. الجمع ممن احتلوا مقعدي يكثرون..

أمزق جسدي.. أتصاغر حتى أتمكن بصعوبة من دس نفسي داخل الشق..

تحُول عظام رأسي دون العبور المكتمل..

بقعة حبر على الجدران

صرير الباب وهو ينفتح ببطء يوقظ كل خلايا عقلي..

أطأ بقدمي إلى الداخل بوجل.. شعور بالغربة يجتاح جسدي كله.. أنظر لأسفل فأجد الألواح الخشبية التي كانت تكسو الأرضية قد تكسر معظمها..

تراودني صورتي وأنا صغير حينما كنت أستلقي على ظهري.. أطالع سقف المنزل.. أتمنى أن أسير فوقه كي أبتعد عن الأثاث المحيط بي..

أنظر إلى المنزل من حولي.. لم يعد هناك شيء لم أبعه سوى الجدران.. صار المنزل مكونًا من فجوات وأعمدة..

بقايا أشياء أنتشلها بعيني من وسط الفراغ.. جثة الهاتف الممددة بجواري.. شظايا المرآة التي تُظهر مئات الانعكاسات لي حتى تلاشى وجهي الحقيقي وسطها..

ألقي بحقيبتي التي مازلت أحملها.. أتحرر من ثقلها..

طلاء الجدران قد سقط معظمه لتكتمل الرتوش الأخيرة في اللوحة السوداء من حولي..

أسير في أرجاء المنزل صامتًا.. لا أتذكر أنني نطقت بحرف منذ أعوام.. كلمات جوفاء صارت بلا معنى لتنضم بجدارة للتجويف الموجود داخلي مع فراغ المنزل المحيط بي..

ابتلعت أحرفي بصمتي.. فصرت مجرد قشرة بين الفجوتين..

أمسك بمقبض النافذة وأفتحها.. لا أرى سوى جدران البناية العالية..

* * *

حينما كانت تجلس فوق بقايا المنزل المتهدم، كنت ألقيها بالحجارة مثل باقي الأطفال..

لم تكن تلتفت نحونا.. تظل جالسة فوق التراب تعبث به بيديها..

كان المنزل مهدمًا تمامًا من حولها.. لم يتبق هناك جدار صامد..

تظل جالسة طوال اليوم لا تتحرك.. ابتسامة صفراء تتلاعب على شفتيها..

الكثيرون يأتون لها لشراء بقايا المنزل المتهدم.. يتحدثون.. يلوحون..

يزايدون على الأثمان.. لا ترد ولا تنظر حتى نحوهم.. تشخص بعينيها دومًا نحو الخواء..

كانت تمسك التراب بيديها وترسم به أشكالًا مجردة.. بقايا أُطرٍ مفعمة بالحياة..

لم أظن يومًا أن منزلها تهدم وهي فيه.. ظننته دومًا ولد متهدمًا حولها..

* * *

أخرج رأسي من إطار النافذة الصدئة.. أبحث بعيني عنها في أرجاء المكان كله.. أجد السيدة العجوز جالسة بجوار البناية الضخمة التي احتلت أرضها التي كانت يومًا ما خاوية..

أبدلوا مملكتها بمساحة ترابية وقطعة ورق مهترئة..

تمسك بالورقة وتغمرها في بركة مياه.. تتلاشى ملامح الحبر الأزرق ثم لا تلبث أن تعود مجددًا..

محاولة بائسة تلقي بظلالها السوداء أمام عيني فلا تزيدني سوى شجنٍ..

لم تعد تعبث بالتراب وتحيله إلى لوحاتها السريالية مثلما كانت تفعل من قبل .. صارت تمسك به وتهيله فوق رأسها..

جسدها كله مغطى بالغبار.. تمر السيارات وسط المياه المتجمعة أمامها.. فتحيل التراب لوحل يغلفها..

* * *

أتراجع عن النافذة ببطء.. تسقط بقايا طلاء السقف فوق رأسي.. أنظف جسدي من أتربة وهمية تراكمت فوق كل شعرة من بدني..

الألم يعتصر قلبي.. لكنه اعتصر جيبي مرات كثيرة من قبل..

يقرعون الباب بعنف.. يحدثونني عن أشياء لا أعيها.. عبارات متناثرة تطالبني بسرعة إخلاء المنزل.. أسمع المزيد والمزيد من العبارات الجوفاء..

فيم كان كل ذلك ؟؟.. سؤال تمدد أمامي حتى ابتلعني.. لست وحدي.. هكذا أخذت أردد لنفسي..

حفنة النقود ملقاة بجواري بإهمال.. الوحل يتجمد حول جسدي.. نعم.. لست وحدي..

أتأمل الورقة الموجودة معي.. يتراقص الحبر الأزرق الذي كتبته بيدي أمام عيني..

تزداد الشروخ في الجدران من حولي.. أطوي الورقة وأودعها جيب معطفي المثقوب..

أجلس على أرض المنزل تاركًا صوت معاول الهدم يستبيح عقلي..

خط الصفر

طوى الكتاب.. أمسك بالقلم الرصاص وحاول أن يخط أي شئ على اللوحة..

رسم خطًا أفقيًا بعرض بقعة الفراغ الكائنة أمامه ، ولكنه لم يجد سوى خطوط مموجة ارتسمت من العدم..

مجددًا حاول دون أن ينتابه اليأس.. لكن النقاط أبت أن تصطف في خط صفر مطلق لا معنى له، فتباينت غير آبهة بمعاناته..

فتح الكتاب مرة أخرى ثم ما لبث أن أشاح بوجهه بعيدًا عنه.. أمسك بالمسطرة تلك المرة ورسم المسار الأزلي، فازداد المنحنى ارتفاعًا ليبلغ مستقره في أعالي الذرى..

ألغى النقاط الخارجة عن خط الأفق الذي حدده بالممحاة..

اطمئن لتحقيق ما يريد، فطوى اللوحة الحمراء ووضعها جانبًا..

وبعد سنوات، حينما أخرجها من تحت أطنان مكدسة من الكتب المهترئة، وجد النقاط بين اعتلاء للأسوار وانحدار نحو الأعماق..

الاهتزاز التاسع

- " الساعة بقت تسعة.. خشي نامي.."

يتنزعها صوته من مشاهدة القطار وهو يمارس دورانه المحموم في منتصف حجرة الصالة.. ترنو ببصرها نحو ذلك الكيان الأسطوري المعلق فوق الحائط.. صوت دقات جنائزية يتوافد منه ولسانه المتدلي يتلوى بوحشية في جميع الاتجاهات..

يحملها بين ذراعيه وسط مقاومة محدودة لجسدها الصغير واهتزاز قدميها باحتجاج لا جدوى منه..

يدخلها داخل غرفتها ويوصد الباب جيدًا عليها من الخارج..

تتحسس طريقها وسط الأشياء التي بدأت تتبين ملامحها في الظلام السائد.. تلتقط مكعباتها الملقاة أرضًا كي تلعب بها لكن الألوان كلها تصير لونًا ضبابيًا واحدًا غير محدد المعالم..

تتسلق فراشها مخفية رأسها أسفل الغطاء.. آلاف الهواجس عن وحوش تخطف الفتيات الصغيرات تلاحقها..

تسمع صوته وهو مازال يمارس طقوس الصراخ في أمها بالخارج.. لا تدري لِمَ تذكرت (العَو) الذي حكت لها عنه الأبلة هذا الصباح..

جسدها يبدأ في الارتجاف دون توقف.. الصوت مازال يخترقها من خلف الباب الموصد..

تتمنى لو ذهبت وضغطت على (زرار) النور كي تحصل على بعض (الونس)..

صوت الصراخ بالخارج ينذرها من الحركة كيلا يعلموا أنها مازالت مستيقظة.. تزيد من إخفاء رأسها أسفل الغطاء..

* * *

لساعات تقف أمام النافذة ذات الزجاج الذي يعكس ملامح مموهة عرفتها من قبل.. رأسها يميل فوق كتفها وهي تتأمل قطرات من المطر تتساقط ممتزجة مع ظلها على السطح الزجاجي..

الساعة الخشبية ذات البندول المرتعش تتدلى منطبعة أمامها.. يهتز جسدها من البرد باهتزاز الجسد الخشبي الثائر..

أطياف والديها مازالت متناثرة فوق الأريكة.. عيناهما الزائغتان ترقبان الشاشة حيث المزيد من الأطياف تطالعهما..

بين الحين والآخر تتسلل عينا الأب نحو الساعة الخشبية المعلقة ثم نحو ساعته الملتفة حول معصمه للتأكد من أن سيرهما مازال منتظمًا..

مازالت ترتعش من دقات الأمطار التي تسيل فوق الشارع الخالي الذي يراودها.. تغمض عينيها وتتخيل قدميها يخطان أحرفًا لم تُقرأ بعد فوق ذلك السطح الأسود..

تعدو ربما خلف إحدى تلك السيارات أو تتسلل أسفل إحداهن لتبيت ليلتها أو...

دقات الساعة التاسعة تنتزعها.. لا ترغب في الالتفات لكنها تشعر بعينيه تذيبان خلايا ظهرها..

تلتف ببطء دون أن تنظر نحو الأريكة متسللة نحو جدران غرفتها قبل انتهاء الدقات التسع..

نظرتها الحائرة – التي تنتفض مع ارتجاج العقارب – تدفنها وسط شقوق الأرضية الصلبة..

ينغلق الباب خلفها.. صوت المزلاج وهو يرتج..

تغلق النور ليسود ظلامها.. تمرر يدها فوق الجدران راسمة لوحتها المشيدة داخل ذهنها.. يهتز جسدها بامتداد الغرفة.. لحن ما يتصاعد داخلها..

تهتز.. تتلوى.. تصدم جسدها بالجدران كي تستشعر وجودها.. لحنها يبدأ في التناغم مع الدقات..

حين يُرهق الجسد ترتقي فراشها لتنزلق أسفل الغطاء.. مشهد الشارع أسفل القطرات الزاحفة لا يفارق مخيلتها..

تنزلق فوق السطح البارد لفراشها أكثر فأكثر واضعة يدها فوق وجهها لتفادي قطرات داخل ذهنها ماتزال تهطل عليها..

* * *

لم تعد تعرف الآن لماذا لم تشأ أن تقطن ذلك المنزل دون مفارقة تلك الساعة الخشبية..

أركانها الحادة.. بندولها المنساب الذي يثيرها دوما بالتواءاته حتى لتشعر بتنقيبه داخلها.. إطارها الذهبي تمسحه جيدًا لأنه أخبرها عدة مرات أنه يكره منظر الأتربة المتراكمة..

الساعة الثامنة والنصف.. صوت المفتاح يدور داخل القفل.. ثلاث سنوات و لم تألف حتى الآن صوت قدميه حولها..

تشعر بوجوده وقد صار داخل المنزل.. تترك ما في يدها بحركة آلية ثم تنسحب في صمت نحو غرفتهما دون أن تنظر إليه..

تتدثر أسفل الغطاء.. قدماه تقتربان من باب الغرفة.. صوت المزلاج ينغلق من الداخل تلك المرة.. البندول الخشبي يستكمل اهتزازه التاسع..

يئن الفراش أسفل ثقله.. تغوص برأسها أسفل الوسادة أكثر فأكثر كيلا تستشعر أنفاسه.. يقترب منها بعنف.. يصرخ جسدها بحدة من غثيانه..

* * *

المنزل الخالي إلا منها.. تنزع ملابسها ببطء أمام المرآة المؤطرة بالأتربة.. تتلذذ بمنظر جسدها العاري.. تمرر يدها فوقه مستشعرة كل ذراته أسفل ملمسها.. شعرها الثائر العاصف بوجهها.. ترفع نظرها لأعلى لترقب الساعة التي همدت منذ سنوات على وضعها العمودي..

يسود الصمت من حولها.. تخبئ جسدها داخل خزانة ملابسها.. صدى أنفاسها يتردد مثيرًا الدوامات الساخنة من حولها.. صار ذهنها بلا دقات..

جسدها العاري الساخن يلامس قاع الخزانة البارد.. ذرات الأتربة التي تفرق أسفلها لتتناثر سحبًا تغطي عريها..

تنتشي من ذلك المسطح الذي يضيق بها.. قدماها المضمومتان حتى لتلامسا صدرها النافر..

دقات لا تبغي مفارقة ذهنها تبدأ في النزوح إليها من مكان ما.. شعورها بأن جدران الخزانة تهتز من حولها..

تضع طرف نهدها داخل فمها ممتصة رحيقه.. يدها التي مازالت تمارس عملها بحميمية.. تغمض عينيها ومازال جسدها لا يبغي التوقف عن الارتعاش..

يتوقف سير العقارب وإيقاعها المضطرب.. جسدها يهمد تمامًا بنشوته.. تمد يديها في وضع عمودي متصلب..

لحظات صمت تسود روحها ثم يبدأ من بعيد صوت دقات أخرى في الولوج إليها..

خطيئة ثانية – هو

لم يكن يعلم أن الرداء الأبيض الذي ألبسوه إياه ، كان يومًا ما كفنًا لي..
لم يكن يعلم أن نقوشه التي طالما أعجبته، كانت بقايا دمائي التي تخثرت فوقه..

لم يكن يعلم أنه حين عقد كفيه بين أصابعي، كان يسوقني نحو المذبح.
لكنه علم يوم رحلت أنه حين كان يضاجعني بحديثه، كان يقبّل جسدًا.. ميتًا..

قصاقيص

ألعوبة طائرة..

يتلفت حوله ثم لا يلبث أن يقترب بفمه مني.. أنفاسه المشبعة برائحة السجائر الحبيبة تلفحني.. أغلق عيني لألقم شفتيه الرطبتين.. إحساس الدفء يتسرب داخلي بخفة.. لا تمر لحظات إلا ويتحول هذا الدفء لابتسامة تولد على محياي وأنا ألعق بقايا شفتيه داخل فمي..

يده التي تعيد تكوين ملامح وجهي وتشييد أخرى لم أرها من قبل.. فمي الذي ما زال منغلقًا على بقاياه..

صوت أحد الأبواب ينغلق.. يجذب يدي بعنف لأرتد لعالمه مجددًا ثم نهبط السلالم مسرعين..

ذراعه التي تحيط بي.. نتأمل معًا البناية التي لم ندخلها من قبل.. رقم خمسة.. في أي شارع تكون دومًا رقم خمسة..

يفرد ذراعه جاعلًا إياي أدور وأدور دون توقف وسط النظرات المحدقة بنا.. أمرر لساني داخل فمي مستطعمة رحيقه كي أتأكد فقط من حقيقة وجوده..

* * *

أقصوصة فارغة..

لا ينفتح درج مكتبي سوى مرات قليلة في العام لوضع خطاب أو لقراءة آخر افتقدته للحظات..

أمسك بالورقة المطوية بعناية.. الأحرف حميمية بدرجة غير معقولة.. مبعثرة دون وجهة معينة لكنها تحمل جميع الوجهات..

الخط السابق كان منمقًا بدرجة زائدة.. متراصة أحرفه بصرامة دون اعوجاج.. ما يعجبني حقًا أن تكون الأحرف متناثرة كأنها سقطت من علٍ وتراصت كما تشاء مكونة آلاف الكلمات..

رائحة (كنزو) – عطره المفضل – تغزوني متسربة من وسط أقصوصته.. أمرر الورقة فوق ملابسي.. أفكر في مسح جسدي العاري بها لكني أخشى تسربها داخلي..

أغلق الدرج لأيام.. ثم حين تغادرني الرائحة أعاود فتحه لأجد الورقة فارغة.. أطوي الصفحة البيضاء لأضعها مجددًا داخل درجي الحميم.. أتركه مفتوحًا تلك المرة..

* * *

أقصوصة صمت..

نتجاور فوق السور الحجري الذي يقابل ذلك المقهى والصخب الذي لا يبغي إفساح مكان لسواه..

يطيل من نظره للأمواج المتصاعدة أمامنا.. أخترق السماء بعيني لآلاف الأزمان في الوقت ذاته..

العديد من الكلمات تبدأ في التطاير من فمه.. حديث كثير عن (مينفعش) و(فرصة تانية) و..............

أزجي وقتي بهزّ قدمي ومحاولة إحصاء المارة العابرين من خلفي دون رؤيتهم..

يده التي غادرت كفي.. (غزل البنات) الذي يملأ جوفي..

تمر ساعات قبل إدراك أن جسدي بدأ مرة أخرى في الارتجاف..

* * *

أقصوصة حائرة..

أمد قدمي الحافية لتلامس سطح المياه التي تملأ حوض الاستحمام.. جسدي يهبط رويدًا متحررًا رغم سجنه أسفل ملابسه الشتوية الثقيلة..

تبدأ المياه في الدلوف لمسام جسدي المسجي داخل الحوض المستطيل..

أغمض عيني هابطة برأسي أسفل المياه.. تتكاثر المياه حولي حتى تغلفني.. صمت محبب يبدأ في الإحاطة بي..

حين تبدأ أنفاسي في التثاقل، أرفع رأسي بسرعة.. يعلو صدري ويهبط في حركات لا متناهية..

صوت شهقاتي يدفعني لإغراق نفسي مجددًا..

* * *

ألقصوصة لم تعرف المخاض بعد..

هذيان خطواتي يعبث وسط الطرقات.. عشرات الأجساد أصطدم بها.. وجوه متشابهة لا تثير سوى غثياني..

أمرر يدي فوق السور الحجري المنتصب طوال سيري.. أتربته تمارس فعل إدماء يدي..

أبحث وسط لوحات الإعلانات المعلقة عن وجوه أخرى أعرفها وتعرفني..

أتوقف أمام اللوحة المعلقة فوق أحد عواميد الإنارة.. العمود الخامس في هذا الشارع..

ما يثيرني حقًا أن الخط المكتوبة به اللوحة كان مائلًا قليلًا.. لم أر مثل هذا الانسياب في الأحرف من قبل.. ليست مبعثرة كأنما ألقت فجأة بل متهادية بانسياب قطرات الماء..

عيناي لا تزالان معلقتين باللوحة.. إحساس من الاشتياق ينتابني.. أفتح ذراعي محتضنة العمود محيطة جسده المعدني بقدمي.. يبدأ الدفء في ملء فراغي تدريجيًا..

لوحة ما

هي.. تنتصف الفراغ.. جالسة فوق المقعد الخشبي الذي يهتز بعنف.. قدماها المتوازيتان.. يداها المعقودتان.. عيناها الشاخصتان للأمام بحدة..

هو.. يقف خلفها.. يداه تمسكان الكرسي بإحكام مانعة إياه من حركته الاهتزازية.. ملابسه السوداء.. عيناه الشاخصتان للأمام بحدة..

تتراجع عن الإطار للخلف قليلًا.. شيء ما.. بضع رتوش لا تزال ناقصة.. تعاود النظر فتجد ملامحهما وقد تلاشت مخلفة الأجساد مبعثرة..

تمزق اللوحة..

* * *

بحثًا عن الملامح المفقودة..

ترسم الخطوط المكونة لوجهه بدقة.. العينين الحادتين و.... العينين الحادتين و....

. الزهور الذابلة تسقط أرضًا.. تتحلل بين ثناياها.. يتناثر الإناء الزجاجي لآلاف الأشلاء المتصاغرة..

تنحني.. تعبث بالنثيرات.. رائحة زهورها الذابلة لا تزال ماكثة بها.. يتكاثر اللون الأحمر حتى تبتلعه مسام الأرض..

و حين تجلس مجددًا أمام اللوحة. تجد الخطوط وقد تماهت..

بحثًا عن الملامح المفقودة..

تقف أمام المرآة متأملة الأخرى.. تمد يدها ملامسة السطح المصقول.. يتعانق الكفان..

تجذب الأخرى بعنف لتقفا متجاورتين دون انعكاس لهما..

* * *

الأصوات الصاخبة تتسلل إليهما عبر النافذة المغلقة دومًا..

ينزعان ملابسهما بوجل.. رأسها التي تتلفت في جميع الجهات.. يتكشف أمامها ببطء.. تدير رأسها لثوانٍ ثم تعاود النظر إليه لتديرها مجددًا..

يقترب بجسده العاري منها.. لا يتلامسان.. تمرر يدها فوق ملامح وجهه راسمة عينيه التي تعشق صورتها المنطبعة داخلهما..

يهم بالاقتراب أكثر.. التقاطها بين ذراعيه.. اعتصاره لجسدها.. تخفي نفسها داخله أكثر فأكثر ممسدة رأسها على كتفه..

تنظر مجددًا لعينيه.. تجدهما خاويتين منها.. تنسل من بين يديه مرتدية ملابسها على عجل وتغادر المنزل..

يثبت أمام الباب المغلق مندهشًا.. الإضاءة الخافتة تعبث بالظلال من حوله..

تمزق اللوحة..

* * *

تقف أمام الفراش بلا حراك.. باتت تخشى النوم وتمقت اليقظة.. تفتح النافذة.. يطالعها جدار البناية المجاورة..

تعقد الحبل الغليظ حول يدها بعنف.. تئن العظام المهشمة فيه..

تجذبه.. تتأكد أن الطرف الآخر مازال محكمًا..

تقفز من فوق المقعد الخشبي الذي ينتصف الغرفة.. يتدلى جسدها كله أسفل الكف الممتد لأعلى، فتئن عظام معصمها من ثقل الألم..

يتأرجح الجسد في أنحاء محيطها الخالي.. تمتزج بذرات اللوحة الفارغة الكائنة أمامها..

* * *

اللوحات الناقصة تملأ الأرجاء.. تلقي بجسدها فوق المقعد المتداعي..

تهتز فوقه بعنف.. يروقها اصطدام جسدها بالجسد الخشبي.. شعرها الثائر الذي يصفعها.. يداها المفرودتان لالتقاط نسائم تغمرها..

لا تعبأ سوى بالمصباح المهتز فوقها.. إضاءته المتراقصة من حولها.. ظلاله التي تستطيل لتحتل الأركان..

تعقد يديها لتحتفظ بنثيرات نسائمها..

يتوقف اهتزاز المقعد بغتة.. حضوره الطاغي تستشعره خلفها.. يداه تحتضنان ظهر المقعد الخشبي.. يغرق وجهه بين خصلاتها السوداء.. عبيرها يتسرب نحوه.. لا يجسر على المزيد من الاقتراب..

تثبت مكانها.. ارتعاشة جسدها.. لا تجسر على النظر للخلف..

يظلان لساعات شاخصين للأمام دون حراك..

يتراجع عن الإطار للخلف قليلًا.. شيء ما.. بضع رتوش لا تزال ناقصة.. يعاود النظر فيجد جسديهما وقد تلاشيا مخلفَين الملامح مبعثرة..

يمزق اللوحة..

إطار تعلوه الأتربة

جالسة في المقهى تتأمل ما حولها بملل.. حديثه أصابها بالصداع كأنما لم ينطق بحرف منذ أعوام..

صوت أغنية يأتي من المذياع الموجود خلف رأسها.. يختلط الصوت بضجيج الجالسين والمارة السائرين صانعًا مزيج من النشاز لا تفهمه..

تتأمل إياه لدقائق أو ساعات.. ستة عشر عامًا وما زال كما كان.. بضع رتوش قليلة أضيفت على محياه جعلته تقليدًا للوحة عهدتها من قبل..

الشعر الأبيض قد ظفر برأسه كلها، جسده الهرم الملقى على الكرسي بلا حراك، عيناه الخابيتان قد احتلتا الحماسة والثورة التي كانت تموج من ثنايا وجهه..

تعتدل في جلستها محاولة الإنصات إليه.. حديث عن نكسة لم تعانِ ويلاتها وانتصار لم تذق حلاوته.. ترتسم ابتسامة محايدة على وجهها لا تتغير..

الدخان المنبعث من كل مكان حولها يخترقها عنوة.. يبقي ثالث كوب من القهوة أمامها باردًا لا تشربه..

ترتفع نبرات صوته أكثر محاولًا إضفاء الحماسة على حديثه..

لا يصل لمسامعها سوى بقايا كلمات متناثرة.. تحاول جاهدة سماع الأغنية التي تخترق رأسها من الخلف فلا تتمكن..

نظراته لها لا تدركها.. تتأمل جلستهما وحدهما وتتذكر حينما كانا يجلسان في نفس المقهى والعشرات يلتفون حوله لسماع كلماته الرنانة.. لم يبق سواها لم تنفض عنه بعد..

تتأمل الكوب الموضوع أمامها ، تمسك به قبل أن يتحول لكوب ثلجي مثل الباقين..

تتساءل داخلها عن كم يد امتدت لتشرب من هذا الملقى في يدها.. تنظر للوجوه الجالسة حولها فيسقط الكوب ليتهشم أرضًا..

لا يهتز أو حتى ينظر لبقايا الزجاج المتناثر.. يكمل حديثه قائلًا:

- " .... أما آلامي فسأتركها لكِ .. "

تنظر له دون فهم.. تجيل نظرها بين وجهه والكوب المهشم.. تماثل غريب يحيرها فلا تدري على من عساها ترد..

يصمت قليلًا.. يجد نفس الابتسامة مازالت ترتسم على محياها..

يمسك بصندوق ملقى بجوا ره ويرفعه فوق الطاولة.. تئن بثقلها دون شكوى.. يفتحه فتتناثر الأتربة فوق ملابسها..

تنظفها بعنف فلا ينظر لها.. يخرج منه إطار مغلف بالأتربة..

تأخذه بوجل شاخصة إليه.. تبحث في حقيبتها عن منديل لتزيح ما تراكم عليه.. يمسكه منها وينظفه في معطفه.. يتهادى صوت المذياع لأول مرة من خلفها..

" عيني عليه ساعة القضا.. من غير رفاقه تودعه.. "

تتراثى لها صورته التي تتوسط الإطار.. وجهه الممتزج بالأتربة التي تعلوه يطل أمامها.. عيناه الحادتين.. شعره المنسدل.. سيجاره الكوبي العتيد.. اللونان الأبيض والأسود بلا تدريج بينهما كما عهدتهما من قبل..

انجذاب يحل بها لعوا لم عاشتها مرة وتركتها.. تمسك بيدها الأخرى في الكرسي بعنف كيلا تنجذب مجددًا..

ذاكرة القرون تتداعى أمامها.. صوت قصف الطائرات وحفيف الأشجار يحاصرها رغم أنها لم تعشه من قبل..

" يطلع أنينه للفضا.. يزعق ولا مين يسمعه.."

ضحكة ساخرة من أحد الجالسين حولهما تخرجها من عالم ترتاده إلى المزيد من الدخان المشوب بأصوات السعال والضحك..

ينظر لها لأول مرة منذ جلس أمامها.. يجيل نظره بينها وبين الصورة التي تقبض عليها بيديها..

يرى عينيها المعلقتين بباب الخروج.. النظرة الخابية تعاوده مجددًا..

يطرق برأسه أرضًا.. الألم داخله يثقل عليه فلا يتمكن من الصراخ.. تترك الإطار فوق الطاولة وتنهض للرحيل..

* * *

تخرج للطرقات المزدحمة بالمارة.. عرج خفيف يجعلها لا تقوى على السير..

صار لها يد يمنى.. قدم يمنى.. رأس (يمنى) إن صح القول..

الجميع حولها عرج يسيرون.. الأرض مائلة فلا يشعر أحدهم بعرجه..

تلتفت للخلف ناحية المقهى.. تجده قد تلاشى من مجلسه تاركًا الإطار فوق الطاولة بلا أي ذرة تراب تعلوه..

تُجِدُّ في السير مبتعدة.. من داخل تلافيف العقل تسمع صوتًا خافتًا يكاد يكون منعدمًا..

"يمكن صرخ من الألم.. من لسعة النار في الحشا..

يمكن ضحك.. أو ابتسم.. أو ارتعش.. أو انتشى.."

احتراق

- " علبة (كِنت) لو تسمح.. "

ينظر لها نظرة طويلة خاوية.. يشغل نفسه في البحث وسط العلب المتناثرة أمامه بينما عيناه تتلصصان نحو معطفها الجلدي أسود اللون..

تهرب بنظراتها نحو بعض الأشياء المعروضة داخل المحل.. تقلب فيهم قليلًا كأنما قامت بالأمر ذاته عشرات المرات..

نظرات البائع تحدق بها.. المرة الثالثة التي تدخل المحل في ربع ساعة لتطلب نفس الطلب..

يتمتم قليلًا وهو يأخذ النقود من يدها.. تصطدم كلماته بسمعها فتنحدر نحو جوفها..

كان يجب أن تذهب لوجهتها مباشرة دون توقف.. أي وجهة ؟؟.. تغلق المعطف أكثر فأكثر لتتوارى داخله.. لا تطمئن سوى حين تستشعر ثقل السطح الأملس للعلبة التي يضعها البائع في يدها..

تهرب من نظراته المتسائلة نحو طريق مازال رطبًا من بقايا شتاء الأمس..

تضع العلبة الأثيرة داخل حقيبتها الجلدية.. تتوقف عند السور الحجري المكتظ بالناس غير عالمة إلى أين المسير.. ومن علٍ، تبدأ قطرة ما في التداعي فوق رأسها..

* * *

جالسة في نفس مكانها المعتاد داخل نفس المقهى والدخان يغمرها من كل جانب.. كوب القهوة نصف الخالي ملقى أمامها دون أن تمسه..

تتطلع إلى ما داخل حقيبتها.. صاروا ثلاث علب من نفس النوع لم تمسسهم حتى الآن.. تفكر ربما في شراء الرابعة..

تنظر إلى الكرسي الخالي الذي يجاورها.. تمد يدها نحو إحدى العلب لكنها تجمد في منتصف الطريق..

يلمحها من بعيد وسط زحام الرواد فيتجه نحوها ببطء..

يجلس فوق المقعد الشاغر.. لا يتحدث.. يشعل سيجارته وينفثها بعمق..

تتأمل أنامله الملتفة حول الجسد الأسطواني.. لا تأبه بعدم تسرب حرف واحد من فمه..

يتكاثر الدخان حولهما.. يغلفها فلا يبدده سوى الهواء المتراكم الذي يعصف بها..

الأثير الأبيض يخرج من بين شفتيه.. يتناثر حوله محيلًا إياه لطيف يتهادى أمام عينيها..

تتراجع بجسدها متكأة على ظهر الكرسي الخشبي.. القهوة الباردة ما تزال بين كفيها لكن إحساس ما بالدفء يبدأ في التسرب نحوها..

رائحة ما تغزوها.. تلمح شبح ابتسامة فوق شفتيه وهو ينفث المزيد من الدخان..

يلتقط الكوب من بين يديها.. قليل من النقود يلقيه فوق الطاولة.. تلتقط حقيبتها الجلدية ثم.. يرحلان

* * *

تنعكس الرائحة المركزة للدخان من بين الجدران المحيطة بها فتعبق الجو داخل المنزل..

تنزع معطفها وتجلس فوق الأريكة التي تمنحها مزيدًا من الاسترخاء..

لا يكاد يتحدث منذ وطأت قدماه المكان.. يتركها ويدخل غرفة أخرى..

تعدو عقارب الساعة أمام عينيها بخطواتها المتثاقلة.. يزداد تلاشيها داخل السطح الأملس الذي تجلس عليه..

لا يتهادى نحوها سوى رائحة خافتة للون أبيض يتداعى من وسط الجدران..

تراه قادمًا نحوها.. لم يعد يتبقى في علبته سوى سيجارة أخيرة..

تحترق لمرآه.. يعتليها مطفئًا نيرانها.. ثم يستدير ليلقي ببقايا العقب الأخير أرضًا..

* * *

تتساقط القطرات الوافدة من علٍ فوق ملابسها..

تنزع معطفها تاركة الهواء يغلفها تمامًا..

تقف قليلا عند السور الحجري الخالي.. تتسلل القطرات لكل ذرة داخل المسام..

بيد مرتجفة، تخرج علبة من الثلاث المتراكمة داخل حقيبتها..

سيجارة أولى تخترق فمها.. تمد يدها لإشعال عود الثقاب الذي صار نديًا..

ينشعل العود الخشبي قليلًا ثم.. لا يلبث أن ينطفئ..

رذاذ حول كوب فارغ

(1)

يجلس فوق مقعد خشبي ثبته بمسامير صدئة.. يحني رأسه بحثًا عن أفضل وضع للاستظلال من الأشعة الحارقة..

هدير الأمواج لا يبعث في محيطه بأية نسمة ولو خفيفة..

الأكواب الزجاجية الفارغة المتراصة على الأرض الصخرية.. يضع يده بين الحين والآخر في الدلو المليء بجواره كي يخفض من حرارة روحه..

يتناثر الرذاذ فوق تجاعيد وجهه فيملؤه بذرات ملح تحتل الأخاديد.. ينظر حوله.. الأجساد المتناثرة فوق الصخور المائلة لا تعبأ به.. لا أحد يبغي تدفئة أوصاله في هذا النسيم المنصهر..

. .

يقترب منه أحدهم.. يتمتم بكلمات غير مسموعة..

دون أن يتحرك من على كرسيه، ينحني كي يفرغ الإبريق في الكوب..

يعاود الثبات مجددًا في مكانه.. السعال مازال يعصف برئتيه..

(2)

يعدل من جلسته فوق الصخور.. يمسك بكوب الشاي جيدًا محاولًا إضفاء مزيد من الحرارة في جسدها..

ينظر للبقعة التي احتلتها.. لا يتذكر متى أو كيف اندست بجواره..

تلتصق به متدثرة بمعطفها الثقيل.. مغمضة العينين، تترك رأسها يهوي على كتفه..

يتأمل ملامحها.. لربما هي منهن.. مجرد واحدة ممن تذخر بهن الطرقات الخالية.. لكن تلك الطمأنينة والانسيابية في أفعالها تشي أنه ربما قابلها في مكان آخر.. يطرد الفكرة عن ذهنه..

لا يسمع سوى صوت أبواق السيارات القادم من الطريق خلفه.. يصغى جيدًا.. صوت نفسها ينتظم مع تفتت الأمواج على الصخور..

تضع يدها بين راحتيه.. تتشكل الأحرف فوق شفتيها مكونة اسمه.. يعرفها من قبل ؟؟..

ربما.. لكن بقايا ملامح وجهها لا تقرع جدران عقله..

يشعر بالبرودة تعتري جسده.. شعرها المبلل يلفح قميصه مكونًا بقعة صغيرة عليه..

تتسع البقعة أمام عينيه حتى تبتلع كل ما حوله..

يتأملها جيدًا.. المياه تتساقط من وجهها قطرات تثير سيول ذهنه..

أغلفتها أمطار السماء بمفردها ؟؟.. أمطار في منتصف أغسطس ؟؟.. لهيب الشمس التي تعلوه يكبح عقل أذابته الهلاوس..

جسدها المرتعش الملتصق به يبقى الحقيقة الوحيدة الكائنة أمامه..

يحدثها.. تتساقط الكلمات أمامه.. لا ترد.. يتسائل عن سبب تواجدها معه هو بالذات..

يحاول تحريك جسده والانتقال لصخرة أخرى.. مسامير وهمية تدقه أكثر في مكانه..

يعصر خلايا العقل كي يتذكر حياته السابقة وهل اقتحمتها يوما في مخيلته..

يفد الرجل العجوز نحوه كي يأخذ الكوب الفارغ.. حشرجة سعاله تدوي في أذنيه..

الفراغ يبتلعه داخل جوفه.. ينظر جواره فيرى ملامحها وقد تناثرت من حوله..

يفتش في كل مكان كالملسوع.. رذاذ المياه يصفع وجهه بحدة..

(3)

أتحامل على نفسي وأسير وسط الصخور المائلة.. لم يعد أحد يقدر ثقل السنوات فوق الكتف..

آخذ الكوب الخالي من يده، ينفحني بقطعة نقود مطوية بعناية..

أسير عائدًا لكرسيّ الحبيب.. ألمحه من خلفي يفتش في جميع الجهات..

يمسك بأطراف ملابسي مهتاجًا.. تسيل كلمات غير مفهومة من فمه.. ينساب النسيج ما بين يديه متقطعًا..

أعاود الجلوس وأسئلته تصطدم بجدار العقل لتسقط متناثرة أمامه..

أحني ظهري وأغسل الكوب في الدلو الممتلئ بالماء..

السعال يعاودني وابتسامة تُحفر رغم عني على جانب شفتي..

إلى أسفل

أسفل جسده تتموج دوما.. تتصاعد الأمواج حولها لتهوي مجددًا.. تصل لقمة الجبل فقط كي تمارس انحدارها عليه..

يحجب كل ما يحيط بها.. لا تشعر بكل الهواء المار بجانبها إلا بعدما يتخلله.. تبتسم حين تدحره.. يذكرها أحيانا قيظها الحار بأن ربما كان هو من يدحرها..

* * *

أسفل جسده تحلم دوما.. ترتاد عوالم لم تعرفها من قبل.. أحيانا تنتابها تلك الارتعاشة الأشبه برقصة سمعت دقاتها يوما ونستها بعد ذلك..

حين تنطق وسط رقصتها باسم الآخر، لا يتحرك.. يزيد من ثقل جسده عليها.. فقط تشعر وسط ألحانهما المحمومة بعينيه اللتين يخفيهما داخل جيدها..

* * *

أسفل جسده تقطن دوما.. تبتاع حاجياتها لتمكث يومها في خندقه دون حراك..

ربما تفكر أحيانا في حياكة أو تطريز، فقط لتستمتع بتكرار نفس الحدث لعدة مرات دون توقف..

أحيانا يغلبها الحنين لكوب من الشاي تبغي ارتشافه.. وحين تشعل النيران، تتعجب أن جسده فوقها لا يبغي التوقف عن الانتفاض..

* * *

يتقوس ظهره أكثر فأكثر حتى يصبح نصف دائرة ترتفع تدريجيا نحو سقف الحجرة.. تمد ذراعها لأعلى محاولة الإمساك به..

تحاول النهوض بحثا عن مزيد من الاقتراب لكنه سرعان ما يتبدد خارج النافذة..

تبقى ناظرة من خلف الشيش الخشبي الذي تطاير مقبضه رافضا الانغلاق.. لأول مرة تشعر بقطرة الماء وهي تتدلى فوق وجهها..

وقوف

عمود نور.. يقفان متقابلين.. تنغلق أصابعه حول وردة نصف ذابلة.. العرق يدلف من بين كفيه وعيناه الزائغتان تحومان في المكان كله.. بضع قطرات تبدأ في الانسياب نحوهما.. وحين تبتسم ناظرة للسماء يدس الوردة بارتعاشة وسط أوراقها..

يقفان متجاورين.. ركبته تلامس أتربة الشارع التي دهستها آلاف الأقدام.. تمسد رأسه بين كفيها بينما كلمات شوقه تحتلها بدفء.. يبدو الميدان من خلفها في اتساع الكون..

يقفان متلاصقين.. ينتظرها ساعة دون ملل.. تنتظره آلاف اللحظات التي وجدت منذ الأبد..

وحين يجدها قادمة نحوه بحركتها الطائرة.. يشرق وجهاهما..

يقفان متواجهين.. دموعها تهرب وسط مجرى وجهها.. يلتفت برأسه للناحية المقابلة ناظرًا نحو الشارع الضيق في عينيها..

تقف ممسكة بحقيبتها.. تجدهما واقفين في الناحية المقابلة منها.. تدقق في وجهيهما.. لا تدري لماذا خايلها الشعور أنها قد رأت تلك الملامح من قبل..

ستار قاني اللون

تفتح فمها لتلتقط القطرة الساقطة، مذاقها الحامض يملأ جوفها فتلفظها.. تضع رأسها أسفل الصنبور وتنتشي من السيل الساقط فوق جيدها..

تعاود الجلوس أمام جسد الهاتف الذي لا يبغي حراكًا.. الرنين يأبى أن يدوي ليظل الصمت ملقيًا بظلاله حولها..

شيء ما شملته النبرات يومًا لم يعد كما كان.. الهالة التي كانت تحيط بهما فقدتها منذ زمن..

ستنهض وتغادر تلك البقعة.. تظل عيناها تحلقان حول الهاتف..

أكان مفترضًا أن يهتز ذلك الجسد المعدني في السادسة ؟؟.. العقارب تلتف في أنصاف الدوائر.. ربما التاسعة.. بل كانت السادسة.. هي التاسعة..

تسمع صوت النشيج يخترقها من الداخل واعية بجسدها يهتز بعنف..

تمد يدها ممسكة بنور باهت اللون.. تطبق يدها جيدًا.. تلاشيه يعطي للظلمة سطوتها..

تغلق عينيها ومازال صوت النشيج في أذنيها..

* * *

دقات الساعة الخامسة تنتزعها من أعتى لحظات النوم..

...

تعاود إلقاء جسدها فوق الفراش..

* * *

يسيران متجاورين تلفهما أقبية الصمت..

عيناها شاخصتان على ظلالهما المتوازية، رأسه محنية وخطواته أثقل من المعتاد..

تمتد الأزقة أمامهما طرقًا لا متناهية.. أقدامهما تُسيِّرهما على ذرات تراب عهداها من قبل..

تمر فتاة صغيرة مسرعة.. تلتقي نظراتهما لثوان ثم تتشتت وسط جوانب الريح..

تنظر جوارها.. يده منغرسة في جيبه لا تبغي حراكًا..

يدرك مسار نظراتها فيخرج يده ويعبث قليلًا بحلقتها المعدنية الملتفة حول إصبعه.. تكِد الأحرف لتنساب من فمه..

حدقتاها تتسربان نحو الفتاة الصغيرة وهي تحاول جاهدة اعتلاء أرجوحة خشبية ثبتتها الأعمدة الحديدية..

تأبى الكلمات الخروج من فمه.. قطيرات ذرفتها السماء تحيطهما بدوائر متداخلة..

صوت ضحكات الفتاة واهتزاز الأرجوحة يهتك أذنيها رغم المسافة..

تستشعر ملمس الحلقة المعدنية في يدها.. يتضائل جسده مبتعدًا..

* * *

الستائر المنسدلة تغشي عينيها فتقترن الظلمة بالموجودات المحيطة بها..

قدماها تسيّراها في أرجاء الغرفة.. الفقاعات الهوائية تتكاثر داخل عقلها ممتزجة بعضها ببعض..

صورتها الضبابية تطالعها فوق السطح المصقول.. ترفع خصلات شعرها لأعلى وتتأمل جيدها العاري..

تستشعر النبضات المنبعثة من جانبه الأيسر.. الإيقاع يلهث أسفل أناملها..

تحني رأسها.. تغمرها الخصلات المشتتة.. الإيقاع ما ينفك يتزايد..

تمسك بشفرة معدنية جيدًا بين يدها وتشق بها مجرى ضيقًا وسط ثنايا الجلد.. الخيط القاني ينساب على طول ذراعها..

جسدها ينتفض بعنف وأنات مكتومة تكاد تنفذ من بين جدران حلقها..

يتسع المجرى ليصير شقًّا عريضا.. تتفرع الخطوط لترسم لوحتها المحمومة فوق خلايا الجلد..

تتساقط القطرات القانية من ذراعيها لتغمرها بنشوة..

مخدرة، تلقي بجسدها أرضا.. الذرات التائقة للخلاص تنحدر..تغمر المكان من حولها..

تنتشي من السريان العشوائي لما حوته عروقها يومًا..

يبدأ البرج المعدني في التزايد.. عشرات الشفرات تلقيها كل يوم أرضًا دون اكتراث..

تظل قابعة طوال الوقت بجوار الحائط.. عشرات الندوب ترتسم فوق يديها..

ترجع رأسها للخلف.. طرقات العالم تتضائل في أذنيها..

الألم المحبب يبدأ في اختراقها.. شهقة تطهر تتسرب من بين شفتيها..

* * *

تقلب في قنوات التلفاز بأعين خاوية..

...

يستقر بصرها على قناة لا تلتقط بثًا..

* * *

على غير هدى تخترق الطرقات المزدحمة.. الأجساد تتخبط بها، تتلاحم معها.. ترفع رأسها نحو السماء المكفنة بستار قانٍ..

تسير دون اكتراث والندوب ماتزال هاربة أسفل ملابسها.. تتحرك في دوائر تقاطعت..

أزيز خافت يتسلل نحوها فتلتفت للخلف.. الفتاة الصغيرة ما تزال تعتلي الأرجوحة الخشبية محلقة نحو السماء.. تتبع الحركة البندولية للأرجوحة..

تلتفت للناحية المقابلة، ظلاله تتجسد أمامها..

ملوثًا كان.. يرمق الأرجوحة بعينين خاويتين.. تلمح الصدأ وهو يتراكم فوق جسده ببطء.. تلتقي الأعين لثوانٍ ثم تعاود الدائرة التفافها..

تضغط ذراعيها فوق السور الحديدي.. تستشعر نشوة الألم مجددًا.. بقعة دامية لا يلحظها تبدأ في الاتساع على طول الذراع..

حركة الفتاة الصغيرة تزداد فوق الأرجوحة الخشبية.. الأعمدة الحديدية تئن من ثقل اهتزازها.. اللوح الخشبي ينذر بالانهيار.. تزيد الحركة..

تتحرك إلى حيث يجب أن تذهب.. تعود.. أعود.. أجثو على ركبتي بجوار الجسد الساكن أرضًا..

أمسك بالأنامل التي تغلف العظام بحرص خشية تفتتها وألتقط من بينها الشفرة المعدنية..

أبدأ في رسم لوحتي مخترقة دروب الجسد وصوت أزيز أرجوحتي البندولية ما زال يتردد من خلفي..

خطيئة ثالثة – ذات

واقع: ثناء شعاعك يدلف نحوي.. يخترق جسدي ويتكسر فيّ آلاف الأمواج المتصاعدة.. أمسك بنصل حاد وأحاول رسم خطوط جسد آخر فوق جسدي.. أعيد تكوينه عدة مرات لأشكل مئات الأوجه.. تعتريني النشوة حين تبدأ دفقات الدماء في الاندفاع خارجي.. إحساس من الارتياح يغمرني وربما.. الفراغ.. تتحد ذراتي فتسمو نحو ذاتك صانعة آلاف التراتيم التي أنشدتها الجوقة يومًا..

خطيئة: يعتصرني الألم.. تتدفق دمائي من كل جانب.. فلم يخبرني أحد أني كنت في حقيقة الأمر طوال الوقت.. أمزق جسدي..

خلف الجدار

الكثبان الرملية تمتد أمامي حتى الأفق..

لا أرى في وسط كل ذلك الفراغ سوى هذا الجدار المبني من العدم، كأنما يتحدى الزمن بوجوده في وسط تلك الصحاري المقفرة..

أشعة الشمس تلهب وجهي فتحيله لنار متقدة.. لكني لا أتوقف عن السير..

يدي مازالت مخضبة بالدماء.. لم أعد أملك حتى الإرادة كي أمحو تلك الآثار المقيتة..

أتجه نحو الجدار مترنحًا كالسكير.. أتوقع أن ينجلي الأمر عن كونه سرابًا.. لكنه أبدًا لا يتلاشى..

كان جالسًا أمامه بلا حراك.. حتى ظننت أنه والجدار انصهرا معًا منذ قديم الأزل فصارا شيئًا واحدًا..

تخور قواي فأسقط أرضًا أمامه.. لا يتحرك ولا ينظر نحوي حتى..

ألمس الجدار بيدي كي أتأكد من حقيقة وجوده وأنني لست واهمًا.. ملمسه البارد لا يتفق مع الأشعة الحارقة التي تفرض سلطانها على كل شيء هنا..

يلتفت العجوز نحوي، ويقول بصوت قد كدّه الإعياء:

- "لا فائدة.. لن تستطيع المرور منه.. "

أنظر للصحراء مترامية الأطراف حولنا فلا أفهم ما يعنيه بقوله..

أحاول أن أعبر لما خلف هذا الجدار، فأجد قبضته تلتف حولِ قدمي..

- "لا تجهد نفسك.. حاول الكثير عبور الجدار ورؤية ما خلفه لكنهم لم يروا شيئا.. "

لم أرد.. تساؤل بدأ يلح عليَّ عن سبب جلوسه هنا.. وكيف يتحمل الحياة دون زاد أو ماء..

- "أنا حارس تلك الحديقة.. لن يقترب أحد من تلك الأشجار طالما مازلت حيًا.. "

أنظر حولي.. لا أرى سوى الصخور والكثبان الرملية.. الأرض جرداء لا حياة فيها..

و مازالت الأشعة كالسوط الذي يلهب جسمي كله..

ينظر إليّ بعينيه الحادتين كأنما سيستشف أفكاري.. يقول بتوءدة :

– " أنت لا تصدق.. أعلم هذا.. مازلت ترى بعينيك.. مثلهم جميعًا.. فقط أنت استطعت رؤية الجدار.. لقد اختارك أنت دون غيرك.. هذا الجدار كالحد الفاصل، لا يرى ما خلفه من يؤمن بما أمامه.. "

أنصت لحديثه دون فهم.. أتعجب أنني حتى الآن لم أرحل تاركًا هذا العجوز المتهالك..

المدافع وهي تطلق نيرانها دون هوادة.. الدماء التي امتزجت بتراب الصحراء.. الجثث التي واريتها بنفسي أسفل تلك الرمال..

كل هذا يبدو بعيدًا جدًا كأني لم أعشه يومًا.. كأنما كان خيالًا في وسط الخواء المحيط بي.. خيال له ملمس ووقع الحقيقة.. أم أن هذا الجدار النابت من العدم هو الذي لا وجود له..

قال لي بصوته الجهوري كأنما سمع أفكاري:

– "طالما مازلت ترى السراب سرابًا، والواقع واقعًا.. فأنت لم تر شيئًا بعد.. "

كلماته جعلت جسدي كله ينتفض كأنما نطقت من جوف القرون.. جلست جواره و لم أتفوه بحرف..

مازلت أتذكر حتى الآن تلك الأيام.. كانت سنوات باسمة حقًّا..

جالسًا أمام الجدار كي أحرس الحديقة من الغرباء..

جثة الشيخ وقد صارت عظامًا فانية مازالت بجواري..

لم أعد أشعر بأشعة الشمس العاتية، فالظلال الوارفة تحيط بي من كل مكان..

يوتوبيا

أدرك حين وجد الأرض اقتربت من عينيه، والألم حل بكل نقطة اتصال لعظامه، أنه قد هَرِم و لم يتبق له سوى القليل..

ذكريات كثيرة متناثرة محت بعضها بعضًا تاركة صور شاحبة لضبابات لم يعد من الممكن بعد هذا العمر كله تمييزها..

حينما دخل هذا القصر الدائري لأول مرة كان لا يزال فتيًا..

سنوات طوال أمضاها يتنقل بين مئات الغرف لهذا القصر الذي لا نهاية له.. آلاف الحوائط اتكأ عليها.. آلاف الأبواب فتحها.. غرف بلا عدد يخرج منها كي يدخل أخرى غيرها..

أشخاص يراهم ويمكث معهم سنوات ثم بسبب تجوالهم في القصر لا يتقابلون مجددًا..

وراق هو.. أفنى عمره ممسكًا بريشة حبر لا ينتهي أبدًا..

ظل ينسخ آلاف الكتب.. ذاكرة قرون مضت كانت له يومًا..

يتنقل بين الغرف باحثًا عن باب الخروج، محاولًا الإفلات من بين جدرانها كي يسكب ما بذاكرته في جوف أحدهم..

اليوم، صار حين يضع قدمًا بجوار الأخرى تنتابه نوبة سعال تستمر لدقائق معدودة.. لكنه لا يتوقف عن السير..

الكتب المتناثرة على طول الطريق الذي يخطو فيه صار لا يتعرفها سوى بصعوبة.. يمرر يده على سطورها فيستعيد كلامًا قد مل لسانه النطق به..

يود لو يرى السماء.. ثم لا يهمه لو تكوم حتى يصير والتراب واحدًا..

يعطيهم ما كتب وليأخذوا روحه إن كان يتبقى له شيء لم يؤخذ بعد..

حين تراءى له الباب المضيء، ظن أن غرفة أخرى بانتظاره على بعد خطوات..

عبره بخطىً مرتعدة.. أعماه الضوء القادم من الدائرة الملتهبة القابعة في السماء..

الهواء يخترق رئتين قد ملّتا العمل منذ زمن، فتنتابه نوبة سعال جعلت جسده يسقط أرضًا..

يتلمس غير مصدق حبات الرمال بأصابعه، يمسكها ويلقيها فوق رأسه.. تمتزج بشعره الأشيب رافضة الوجود على الأرض مجددًا..

تساقطت كل الكتب من يده أثناء رحلة تجواله الطويلة داخل القصر، لم يتبق سوى صفحة واحدة بحوزته، يفتح يده فتحلق الورقة الأخيرة نحو أفق يجهله..

ينهض مجددًا على قدميه.. تترائى له المدينة لأول مرة..

يحاول استرجاع صورتها القديمة في عينيه، تنفيض أكوام من الغبار تناثرت في ذاكرته، فلا يتمكن..

رائحة البارود تخنق أنفاسه.. الدخان يغشى سماء المدينة وسحابة سوداء تسمو فوق كل الموجودات..

الديار كلها خالية حتى من أحجارها، لا يصادف سوى بضع زجاجات معدنية متناثرة في كل مكان..

أشباح أجساد يراها.. يقترب، فيجدهم واقفين أسفل الأرض، لا يبرز منهم فوق سطحها سوى رؤوسهم.. حتى تلك، أخفاها البعض وسط التراب..

يسير بحذر كيلا يصطدم برأس أحدهم.. أصواتهم قد توقفت عن العمل، فلا يتحرك فيهم سوى أعين حائرة خالية..

كل الرؤوس تتجه نحو أفق واحد.. مركز لا يتراءى له من هذا المكان.. يسير ببطء وقدماه تنغرسان في الرمال كلما أوغل..

يتجه بكليته إلى الأفق المنظور نحوه..

الرياح تهب قادمة من هذا المركز، مشبعة بالرمال التي تذري عينيه.. رياح تدفعه بدلا من أن تصده..

مئات الشموس أضاءت وانطفأت أثناء سيره.. لا يجد سوى كثبانًا خلف الكثبان..

يراه شامخًا أمامه فيتوقف.. يتعرفه بسبب دوامات الرمال التي تهدر حوله.. الشمس في تلك البقعة صارت حامية تلهب ظهره كله..

يقف عند نقطة ما تنصهر فيها جميع الدوامات.. كأنها المركز أو مركز المركز لما حوله..

يقترب بقدمين قد تهالكتا بفعل الزمن.. يمسح بيديه على نقوش بلغة غريبة بزغت أمامه في تلك النقطة..

يمرر يده عليها دون أن يعيها.. تتدفق الدماء من يديه لتملأ النتوءات التي سببتها الأحرف..

يسقط على الرمال بعدما وصل للمركز الذي تضاءل حتى تلاشى من أمام عينيه..

يبرز من العدم آلاف الأجساد مكفنة بلا رؤوس.. يحيطون به، فلا يرى سوى الدائرة وهي تنغلق من حوله..

فراغات

(1)

.. **نحو الفراغ..**

يهطل المطر فوقك فلا تجد ما تحتمي به سواك.. تراهم من حولك يعدُون نحو مركز واحد..

تسير في خطاهم.. تتخبط في أجسادهم التي تغلق مجال الرؤية أمام عينيك..

تلتف السحب حولك.. تصير والضباب شيئًا واحدًا..

الجميع يتساقط كالأفرع النخرة.. تبقى واقفًا بلا قدرة على الحركة..

الفجوة الكونية تترائى لك.. تود الانصهار فيها لكن إطارك لا يتخلى عنك..

(2)

.. وسط الفراغ..

ترتسم أمام عينيك الخطوط المتشابكة.. تمتزج الألوان، فلا ترى سوى الظلمة الحالكة..

نقاط تتصارع.. تتقاتل.. لا تدري أيهم سيفرض لونه على اللوحة.. يظل السواد هو السائد..

تتقاطع الخطوط أمامك.. شبكة تتكون أنت مركزها..

لوحات ترتسم في الفراغ من حولك.. ترى كل شيء فلا تميز شيئًا مما تراه..

الظلال تظهر أمامك ثم تتلاشى.. يبتلعك العدم فتصيرا واحدًا..

(3)

.. حدود الفراغ..

تنظر في المرآة، فلا ترى الحدود الخارجية لجسدك..

تخشى التلاشي في العدم.. فتضع نفسك داخل صندوق..

(4)

.. خارج الفراغ..

ترتفع الأيدي المتشابكة.. يدورون حول إيقاع ثابت..

يقفزون لأعلى.. يسقطون أرضًا.. يتمرغون في التراب..

تتسع الدائرة المغلقة أمامك وأنت خارجها.. تراهم بملابس هي مزيج من الأحمر والأسود..

يدورون بسرعة محمومة لا تمكنك من متابعتهم.. يجمدون مكانهم للحظات فتقوم أنت بالدوران حولهم..

تقف لاهثًا باحثًا عن تضخيم اللحظة الآنية..

تتوقف دائرة الجمود بغتة.. تخطو داخلها.. تطالعك أنهار الدماء المتدفقة..

(5)

.. لسد الفراغ..

تظل واقفًا أمام آلتك المعطلة لا تدري ما تفعله..

يراك أثناء مروره.. يمسك بك.. يصهرك.. يضغطك.. يشكلك.. ثم يضعك مكان الترس المفقود..

نعيق القربان الناري

السقوط الأول للأشعة القمرية..

أنظر من خلال الثقب الموجود في جدار المنزل، الوهج الأبيض ينير الصفحة العلوية.. يتسرب الوهج إلى الداخل من بين الخصاص الخشبية المغلقة دومًا..

قامتي مازالت تقترب من الأرض، أقفز لأعلى رافعة يدي لأتشبث بالخيط الفضي المتعالي الذي لم أره من قبل..

مازلت أذكر وجه أمي الباسم وهي تشهد محاولاتي البائسة.. أسرع بإحضار وعائي الزجاجي الذي ادخرته لمثل هذا اليوم.. أرفعه لأعلى على استقامة يدي كي أمتص الأشعة داخله..

أتأمل الأدخنة البيضاء وهي تخترقه.. أغلق الغطاء..

جميع من بالقرية خارج منازلهم يتأملون المشهد السرمدي.. أبغي الخروج لرؤية القرص الأبيض الذي يتحاكون عنه.. تحتضنني أمي بعنف لتخفيني داخلها.. القلق يتسرب من بين خلجاتها إلى جسدي المرتعش..

لحظات تمر وتبدأ الأشعة القمرية في الانسحاب.. محتوى الوعاء يتسرب من أمامي.. أحتضنه كي أذيبه داخلي.. ثوانٍ وأجد ما بداخل الوعاء قد صار فراغًا..

* * *

السقوط الثاني للأشعة القمرية..

يخرجني من وسط أكوام التراب التي أعبث بها.. جسد أمي مسجى أسفل جدران المنزل التي تداعت فوقها.. "هو الغضب الذي ألمَّ بهم"، هكذا أخبرني..

يقبض على يدي، أرفع عيني المتسائلة لأول مرة نحو وجهه.. عيناه الحادتان ترمقاني.. أشيح بوجهي بعيدًا كيلا أنجذب داخلهما..

أقف أمام جثمان أمي لأشيِّعها.. يجذبني بعيدًا عن بقايا الأكوام الخشبية المتهدمة.. "أمك نذرتكِ يومًا لكنها لم تفِ بعهدها"، صوته الرخيم يتداعى لأذني..

يسيِّرني بجواره.. أتعثر حينًا، أسقط أخرى.. لا يبدو عليه الملاحظة.. قدماي الضئيلتان لا تمكناني من متابعة خطاه المتسارعة..

أبغي التوقف والتقاط أنفاسي، لكن يده تضيق على كفي كلما فكرت في التباطؤ..

يترائى لي السور الحجري تتخلله بواباته السبع.. ما كانوا يخيفونني من الاقتراب منه أو الدنو، صرت أبعد خطوات قليلة عنه..

الحرارة المنبعثة من خلف السور تلفحني.. أحاول النظر من إحدى بواباته، فلا أرى سوى الأبخرة المتصاعدة المناطحة للسماء..

يحرر يدي ويتراجع خطوة للخلف كأنما يخشى تدنيس قدس الأقداس..

نظراته تحثني على التحرك ناحية البوابة.. أتوقف بخطوات وجِلة أمام إحدى الفتحات السبع للسور.. ألتفت ناحيته.. قسمات وجهه تُحفَر في ذهني.. أدلف للداخل..

* * *

السقوط الثالث للأشعة القمرية..

أجلس فوق الذرات الرملية دون حراك.. أرمق من الداخل الكتل الصخرية المتراصة متعالية نحوي.. السور الحجري المشيد الذي صارت بدايته نهاية له..

الفتحات السبع للسور تنمو على استحياء كشقوق.. هي منفذي الوحيد الذي يصلني بالعالم الخارجي..

الخواء يحيطني كالسوار.. لا شيء سوى جسدي يدنس الفراغ.. حتى جذور الأشجار قنعت بأن تظل قابعة خارجه..

جالسة طوال اليوم، أستند على الصخرة العلوية التي تعلو قمتها كتلة اللهب المقدس ملقية بظلالها حولي..

أنقب بيدي في ذرات الرمال المحيطة بي، أكومها حول الصخرة التي افترشتها النيران..

أقف أسفل البريق الناري شاخصة ببصري نحوه، فتتخلل ظلالي المكان طابعة مئات النقوش فوق السور الحجري المحيط بالمكان..

كلماته مازالت تدوي في أذني.. أن أحافظ على النيران المقدسة من الانطفاء صار كل ما أعيه..

الظلمة من حولي تبدأ في الانسحاب.. الضوء الشاحب يتسلل نحوي.. أدرك أن اليوم ربما يكون هو المختار..

يسود السماء القمر البدري.. تسقط الأشعة تلك المرة من البوابة الشرقية.. أرى ظل أحدهم قادمًا..

أتوارى بعيدًا إلى الجهة الأخرى.. المشهد الذي زار مخيلتي أيامًا بصدد التحقق أمامي الآن..

يعبر الظل التجويف ببطء.. قدماه تبيرانه وحدهما.. الرأس الشاخص نحو الصخرة العلوية المنتصبة وسط الفراغ..

ألمحه يرتقيها بثبات.. يبدأ صوت عويل الاحتراق في اختراق الصمت من حولي.. دقائق تمر ويفنى وسط اللهيب الحارق..

يغلفني الصمت.. عدم القدرة على الحراك.. لا يسود المكان سوى صوت قرقعة وانصهار بقايا الجسد..

أقترب بوجل.. الحرارة الصاهرة تلفحني.. أظل واقفة متابعة المشهد بأعين خاوية..

* * *

خارج المدار القمري..

اليوم، كتلة سوداء دنست الفراغ.. غراب مشوشة هيئته يحوم حولي دون توقف..

يحط على الأرض بجواري.. أبتسم.. ربما أول ابتسامة تُحفر على وجهي منذ قدومي.. منذ ثلاثة أزمان قمرية.. يفرد جناحيه على اتساعهما..

لا يقطع أنشودة الفراغ والصمت المنبعثة كل يوم سوى الغراب ضاربًا بجناحيه الهواء حائمًا حولي..

يرتفع حينًا نحو السماء ثم لا يلبث أن يحط مجددًا فوق رأسي شاخصًا ببصره بثبات..

أيام طوال، أراقبه وهو يعبث في التراب.. يتمرغ فيه دون توقف حتى يدنس لونه الأسود الساحر..

يدق بمنقاره شيئا ما في مكان ما.. أراقبه دون حراك..

* * *

السقوط الرابع للأشعة القمرية..

الأشعة الفضية تبدأ في التهادي نحوي.. تسقط الأشعة من أحد التجاويف السبعة النابتة وسط أحجار السور منذ الأزل.. أرى ظل أحدهم قادمًا..

يراه طائري الأسود قبل أن أعيه.. يعلو بجسده ويحوم حول النيران في لانهايات مغلقة..

شبح الجسد يسري فوق ذرات الرمال.. صوت النيران تلتهم الجسد لتروي ظمأها..

جاثيةً على الأرض، أرمق فناء الكتلتين معًا.. استحالة الجسد لحدود مشوهة ثم التلاشي..

اللهيب الأصفر يطغى على مرثاي.. الغراب الناظر لي.. صوت ضرب جناحيه للهواء.. ينتهي ظل آخر من الظلال التي تحوم خارج السور..

يتكوم الغراب في أحد الجوانب متدثرًا بالذرات الترابية.. نعيقه الخافت يتهادى لمسامعي ثم لا يلبث أن يتعالى مخترقًا جدار الصمت المشيد..

يمتزج النعيق في أذني مع صوت النيران وهي تقتات على الأشلاء جاعلين جسدي كله ينتفض لأول مرة دون توقف..

* * *

السقوط الخامس للأشعة القمرية..

أزمنة أخرى تمر كبرت أم صغرت.. تنعكس الأشعة البيضاء من الفجوات كل زمن قمري..

جاءني خاطر غريب اليوم عما يمكن أن يحدث لو ارتقيت الصخرة العلوية وسكبت كل الأتربة مطفئة النيران..

ارتعاشة الغراب وانتفاضته قبل طيرانه محلقًا جعلتني أطرد الفكرة الآثمة منْ ذهني.. عسى ألاّ تجعلني تلك الخاطرة أصير ملوثة..

* * *

السقوط السادس للأشعة القمرية..

أحدث الطائر الأسود دومًا عن فكرتي الآثمة.. ملامح الذنب تتبدى في وجهه كلما طرقت الفكرة، أو هكذا يخيل إليّ..

أستلقي على الرمال.. يحط فوقي صامتًا..

لا يتعالى نعيقه الأزلي سوى حين تقتات النيران.. غير ذلك، نظل جالسين لساعات بلا حراك.. أمسد بيدي ريشه الجنائزي..

يخترق الظل الجديد الفجوة.. نفس الحركة الآلية التي لا تتغير..

يهب الغراب طائرًا حول النيران، وفي لحظة امتزاج الجسد باللهب الراقص يلتقط حفنة الرمال بمنقاره ويلقيها على النار..

المحاولة البائسة لا تزيد النيران سوى إصرارٍ على الاشتعال فتقتات على فتات القربان الممنوح دون توقف..

صوت داخلي يدفعني كي أطفئها معه لكنني أضع رأسي أرضًا وأهيل فوقها التراب محاولة طرد الفكرة الآثمة عن ذهني..

جسد الطائر المرتعش مازال يحاول تحريك جناحيه حول النيران.. إثارة الدوامات فوقها.. تتقلص قليلًا ثم تعاود الانتشار.. أستمر في إسقاط رأسي وسط الرمال..

* * *

السقوط السابع للأشعة القمرية..

نثيرات الأشعة القمرية تفترش محيطي كله..

يوم آخر.. ظل آخر.. وقود آخر يسمو بالنيران..

يتجسد ظله أمامي مستحيلًا لجسد عهدته من قبل.. ملامحه تتبدى أمامي.. ملامح من أدخلني يومًا هنا.. قسمات وجهه التي ماتزال محفورة في ذهني.. عيناه الحادتان لا أتعرفهما وسط الأشعة الشاحبة.. تراودني صور متقطعة عن سيرنا خارج تلك الأسوار يوم أحضرني إلى هنا..

أتوقف أمامه.. نظراته الجوفاء معلقة باللون الذهبي العلوي.. لا يبدو عليه أنه قد عرفني..

- "أتذكرني ؟؟ !!!!"

تخرج الكلمة خافتة من فمي.. وسط الصمت المشيد تردد مئات الأحرف صدى أحرفي..

نظراته تفارقني متجهة ناحية الغراب المتكوم أرضًا..

- " أ.. ت.. ذ.. ك.. ر.. ن.. ي.. ؟؟"

يقترب بخطواته المتثاقلة من طائري الأثير، يمسك بالجسد المرتعش بين أنامله..

أحاول منعه من النفاذ.. يدفعني بعيدًا ويكمل المسار الحتمي مرددًا صلوات لا أعيها..

لم أشعر بخطواته وهي تبتعد.. لم أشعر بالأشعة القمرية وهي تنسحب.. لم أر سوى الجناحين تحيطهما هالة نارية.. انتفاضتة البائسة داخل النيران.. امتزاج يسوءني..

ثوانٍ ويصير الغراب رمادًا يعلو الصخرة..

* * *

السقوط السابع للأشعة القمرية..

...

* * *

السقوط السابع للأشعة القمرية..

...

* * *

السقوط السابع للأشعة القمرية..

أنهض بجسدي المثخن بدوي الخطيئة..

أجمع الرماد المتناثر الممتزج بالريش الأسود.. أبتلعه في جوفي.. أكونه ويكونني..

أشعر بخفقات الأجنحة داخل أحشائي.. أصيره.. يصيرني.. صوت النعيق يعلو داخلي لكنه لا يجسر على عبور إطار جسدي للخارج..

أسير متخبطة في أرجاء المكان كله.. أدور وأدور دون توقف..

أحوم حول النيران المشتعلة.. النعيق مازال داخلي..

.. واليوم.. أعتلي الصخرة النائية.. أبغى خروجه وبعثه محلقا نحو السماء..

أفنى في الكتلة النارية ملاشية إطاري.. يمتزج كلانا.. والنعيق يتصاعد خارجي ليطغى على المكان..

وهج

"أيها المتناهي الذي يتصدر كبد الكون

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل..

يا من تشع بنورك إلى الأزلية

و تلقي بضوئك داخل قلوبنا الفانية..

فوق كل الموجودات كان ضياؤك

وداخل نفسي الضئيلة سيبقى نُبُرُك..

احمنا يا من تعاليت حتى تصاغر من حولك جميع الأناس

واحفظ عبيدك الفانين من ظلام نفسهم..

يا سيد الأبدية.. يا بداية المنتهى..

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل.."

جزء من ترنيمة غير مكتملة نقشت
فوق جدران المعبد الشمسي القديم

كنا سبعة.. أو عددًا ما أزليًا لم أعد أذكره الآن.. فقط كنا نعلم أن اليوم هو بدء موسم الحصاد وأن قرصنا الشمسي قد تموضع داخل كبد السماء..

أصوات الترانيم والابتهالات التي تصدح من داخل المعبد الشمسي.. نجتمع نحن السبعة عند أطراف القرية التي لا يسمح لنا بتعديها كيلا تحل علينا اللعنة الأبدية..

أجسادًا صغيرة كنا.. نعلم أن ذوينا ما زالوا داخل المعبد يبتهلون راغبين في المزيد من الحصاد هذا العام..

نتقابل في بقعة نائية وسط الأشجار عند حدود القرية الشرقية.. يترأس مجموعتنا الصغيرة ابن الكاهن بسنواته السبع التي كانت تشعرنا بسطوته لأننا لم نبلغ بعد الستة أعوام شمسية..

ننتشر في جميع الأرجاء كالجراد.. نتخير المزيد من الألعاب..

نعدو.. نلهث.. نتعب.. نستكمل عدونا.. نتخيل الأشعة الشمسية نيرانًا تتساقط فوقنا..

نقفز.. نتعثر.. نتمرغ أرضًا.. تحيط الذرات الرملية بوجوهنا وجميع أرجاء جسدنا..

جسدي المتعثر أرضًا ينز بإرهاقه.. صدري يرتفع وينخفض في سرعة محاولًا الحصول على المزيد من الهواء..

أنظر نحو القرص الشمسي المتعالي وأصيح فرحة "يومًا ما سأكون شمسًا!!"..

الضحكات تعصف بأجسادهم الصغيرة.. أصواتهم العابثة تشعرني بسخف كلماتي.. لا أجرؤ على نطقها مجددًا فأردد داخل نفسي "يومًا ما سأكون شمسًا.."

* * *

"يا سيد الأبدية.. يا بداية المنتهى..

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل..

قربأنا أهديك جسدي الفاني لتسطو عليه أشعتك الأزلية..

يا من ترانى داخلي قبل أن أكون نطفة في بطن أمي..

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل..

يا سيد الأبدية.. يا بداية المنتهى..

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل.."

جزء من ترنيمة غير مكتملة نقشت

فوق جدران المعبد الشمسي القديم

* * *

كان واقفًا وسط الظلال المرسومة حوله وأنا كنت وسط دفاقتها الشمسية المتهادية نحوي..

يقترب بجسده الضئيل منا يبغى مشاركتنا لعبنا..

شعره أحمر ثائر لا حدود لتموجاته وثناياه.. لا يثير في قلوبنا سوى الغرابة من ذلك اللون غير المعتاد والوليد منها..

يقترب منه ابن الكاهن بسنواته السبع متفحصًا إياه، ثم يعطي قراره بالسماح لهذا الوافد الجديد بمشاركتنا اللعب..

نعدو.. نلعب.. نلهث.. نستكمل عدونا..

أمد يدي على اتساعهما فتلتف الخيوط الذهبية حول ذراعي..

تمتصني أشعتها.. أنا فقط من تحيط بجسدي دونًا عن الباقين..

أغمض عيني مرددة " يومًا ما سأكون شمسًا ".. أرددها هامسة ثم لا يلبث أن يرتفع صوتي رويدًا.. تنفض أجسادهم عني ضحكين.. فقط هو بشعره الأحمر الثائر يقف مجددًا وسط ظلاله ناظرًا نحوي ثم.. يبتسم..

* * *

قالت لي أمي يومًا : "شمسنا أبدًا لا تغيب"..

و قالت لي في يوم آخر :" شمسنا ترتحل وسط السماء في ثلاثة مواضع.. عند انقضائها نعلم أن عامًا شمسيًا آخر قد مر"..

و قالت لي أيضًا حين كانت تصفف شعري المنسدل :" شمسٌ أنتِ"..

و من يومها صرت حين أنظر للصفحة الزرقاء التي تعلوني، أتخيل نفسي قرصًا ذهبيًا يتموضع داخلها..

* * *

أجسادًا كبيرة صرنا.. لم نعد نختبئ وسط الأشجار، بل نصعد فوق سطح أحد المنازل لنتحدث هامسين..

يتجاور كل جسدين تلفهما أقبية الحميمية والشوق المكتوم..

يجاورني بجسده الدافئ.. شعره الأحمر يتوهج بوهج أشعتها الحارة في عيني..

يحدثني عن رغبته في اختراق حجب السماء لعالم آخر ربما يتوارى خلف ذلك الستار الأزرق.. أحدثه عن رغبتي في الإمساك بذلك القرص الشمسي المتوهج وابتلاع أسراره الأبدية..

نغلق أعيننا ونتخيل عالما آخرًا بلا أشعة ذهبية.. ظلام.. وحشة.. برد.. وربما حتى م.. ط.. ر..

ترتجف أجسادنا من نشوة خيالنا المحرم الذي قرأنا عنه في أوراق

قديمة.. يهمس في أذني كيلا ننجرف في خيال قد يجعل اللعنة العلوية تحل علينا ونصير رمادًا..

* * *

مخطوطة قديمة أعطاها لي ابن الكاهن بعدما وجدها مدفونة في الناحية الشرقية للقرية.. مدون فيها بضع كلمات أخاذة كانت قد نقشت يومًا فوق جدران المعبد الشمسي القديم..

ما ضايقني قليلاً أن الكلمات كانت مكتوبة بيد مرتجفة وكانت في كثير من المواضع غير مكتملة..

* * *

تنهرني أمي حين تجدني أردد كلمات لم تسمعها من قبل من مخطوطة قديمة..

تغلق الخصاص الخشبية فزعة خشية أن يتسرب صوتي خارجها..

أحدثها عن رغبتنا أنا وابن الكاهن وذي الشعر الأحمر في الاقتراب من ذلك القرص وربما الإمساك به حتى يُذهِب بأبصارنا..

تضع يدها ملتاعة فوق رأسي مرددة كلمات لتطرد بها كل مسوخ الظلام من حولي..

عيناها دامعتان من هول حديثي خشية عليّ من التجديف والغضبة

العلوية.. تهمس في أذني بحرقة بضرورة ذهابي للمعبد الشمسي كثيرًا الأيام المقبلة كي تتطهر روحي الدنسة..

"يا سيد الأبدية.. يا بداية المنتهى..

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل.. "

* * *

النيران تشتعل وسط المكان كله.. رائحة اللحم المحروق تدلف لأنفاسي متخللة مئات الشقوق..

أطل برأسي من الكوة مستطلعة.. يتصاعد الدخان المموّه بحدة صادرًا من المقابر..

أسرع بارتداء ملابسي خارجة.. خطواتي المترددة تزداد ثقلًا بازدياد المهرولين من حولي..

المئات يتجهون نحو المقابر فزعين.. البعض ممن استنتجوا ما حدث يحملون الملاءات لإطفاء الحريق..

الدائرة تحكم إغلاقها حوله لكنني أراه.. جسده المتدثر بالنيران المتصاعدة.. صوت آهاته التي تشق صدري.. المزيد من الملاءات يغلفونه بها..

جسده يتلوى في جميع الاتجاهات.. يداه المفرودتان على اتساعهما يتحرران بلون نيرانهما ضاربَين الهواء..

الكاهن يمسك بقوارير المياه ليسكبها فوقه كي يطفئ جسد من (كان) ابنه يومًا..

أتجمد أمام هلاوس المشهد المقيم أمامي.. أستشعر جسد ذي الشعر الأحمر خلفي..

ألتف نحوه فزعة متدثرة داخل جسده وخلاياي ما تزال ترتجف..

– ماذا حدث ؟؟..

يغلف جسدي بذراعيه ليوقف ارتعاشته العنيفة..

– اقترب..

– عرف ؟؟..

– احترق..

تنفض الجموع.. النحيب يتصاعد حول رماد الجسد الذي لم يطفئ ظمأه أبدًا..

الأم الثكلى تنحني طالبة من الكاهن دفن بقاياه.. لكنه يجرها بعيدًا بعدما تأكد من جرم ابنه المشهود وقطرة ما في عينيه لا تجسر على التهاوي فوق صفحة وجه عدت عليه السنون..

إحدى العجائز تردد أن اللعنة قد حلت فوق أشهاد القرية كلها، يمتزج صوتها مع نحيب الأم فيكمل جسدي كله اهتزازه دون توقف..

يقترب مني ليضمني بقوة داخله فيزداد برد نفسي رغم الأشعة التي تغلفنا..

يبقى جسدانا ملتصقين بلا حراك.. نجثو نحن الاثنين بحركة آلية أمام بقايا رماد ذلك الذي اقترب يومًا..

"يا سيد الأبدية.. يا بداية المنتهى..

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل.. "

* * *

ظللت قابعة داخل غرفتي لفترة طويلة بلا حراك.. أفتح عيني لتطالعني أشعتها.. أظل ناظرة نحوها بوله ثم أغلقهما مجددًا لأتمتع بلحظات من الظلام الملون..

أخبئ رأسي أسفل ملاءات فراشي.. وسط ظلام عيني الذي صنعته أبقى محلقة خلف الحجب..

مظهر النيران المشتعلة لا يبغي مفارقة رأسي.. أود إخراجها من رقادها..

(ابتلاعها.. ربما يومها فقط أمتلك خلودها الأزلي)

واقعها أنها بلا واقع لأنها الواقع ذاته.. لم يتحمل جسدي الضعيف موت ابن الكاهن كثيرًا..

فوق فراشي أحترق من نورها.. يتلوى جسدي في اتجاهاته الأربعة متزامنًا مع الاحتراق المتصاعد داخلي..

* * *

أمام التمثال الشمسي الذي يتوج المعبد الرخامي القديم أقف..

أمد يدًا مرتجفة فوقه تتحرك بتحرك القرص داخلي..

ذلك اللون الذهبي المحيط بي يلقي بظلاله المتراقصة أمام عيني..

ينسدل الضوء من بين آلاف الحجب ليحيل جدران المعبد لدفقة في أوجها..

أتكوم بجسدي في الركن النائي المظلم المعبق بالظلال الوافدة من كل جانب.. عشرات الوجوه تتراءى أمامي.. بعضهم عرفته من سنوات مضت وبعضهم لم أره من قبل..

خيوطها تفد نحوي قادمة من كل صوب.. تلتف ببطء حول يدي وجسدي كله.. تغزوني بحرارتها لتذيب ظلالي الموغلة داخلي..

الخيوط الذهبية تضاجعني بحرارتها عشرات المرات.. شيء ما قد بدأ ينبت داخل أحشائي.. أردد ترنيمتي كي تسكرني داخل ذلك الوهج الذي يعتريني.. شيء ما قد بدأ ينبت داخل أحشائي..

أغمض عيني.. أفتحهما..لأجد أن الأشعة مازالت تتموج فوق جسدي.. أغمض عيني.. أفتحهما.. لأجد الأشعة وقد انسحبت من فوقي..

* * *

أفتح عينيّ.. نورها يغشاني.. يعانق خلاياي حتى يشف بحدة ما بداخلي..

حرارتها الساطعة لا تتوقف عنْ إشعالي.. المزيد من ضوئها يجتاحني..

لسنوات شمسية خالدة كنت أرى نورها الساطع في عيني كل ثانية داخل المعبد.. قالوا لي حينما نهضت أنه لم يمر سوى ثلاثة أيام فقط لم أترك فيها فراشي قط وأنني لم أزر المعبد طوال حياتي..

ارتطمت بجدار صمتهم لأجده هناك بشعره الأحمر الثائر جالسًا عند قدمي ناظرًا إليّ بإشفاق..

لماذا لم يقترب منها مثلما فعل ابن الكاهن يومًا.. لربما استطاعوا معًا سحبها نحوي..

تطربني الفكرة.. يسحبونها من مرقدها الأزلي لإدخالها فيّ.. أبتسم.. أقهقه.. كلمات أمي ترددها حولي كي تطرد مسوخ الظلام.. أستمر في الضحك دون سبب.. يومًا ما سأكون شمسًا.. وأجسادنا الصغيرة.. ينهار جسدي مجددًا فوق الفراش..

* * *

قال أحد الحكماء يومًا أن الأفق خط تلاشى وسط اللون الأسود الذي كان ينزع في السماء متجاوزًا مع نورها..

و قال أن شمسنا حين تتعانق مع هذا الأفق تتلاشى فيه هي الأخرى..

و قال أن السماء كانت ت..ظ..ل..م..

و قال...

صفحة غير مكتملة من

إحدى المخطوطات القديمة

* * *

هو النهر الذي لا نهاية له.. لا ضفة أخرى تترائى أمامي..

تعانق مياهه الصفحة الزرقاء.. أتلفت حولي ثم أنزع ملابسي ببطء..

أخوض بجسدي العاري وسط المياه الباردة متجهة نحو الأفق المنظور..

هي.. الدائرة الذهبية التي تتوسط السماء.. أتحرك فتتحرك معي.. أغوص فتسلل أشعتها نحوي.. أقترب من الأفق اللانهائي فتقترب بدورها مني..

تتصاغر المسافة بيننا..

أنا التي مازلت ألامس المياه بجسدي.. وهي التي مازالت متعالية في السماء..

تقترب بكليتها مني أكثر فأكثر.. تزداد الحرارة لكنني لا آبه وأستمر في المسير.. تذيبني نيرانها المتقدة.. تغوص نحوي أو ربما أنا من كانت تحلق..

و حين نتجاور نحو خط الأفق الأزلي.. أمد يدي.. ألمسها.. احتراق يدميني.. أحتضنها فتتلاشى بكليتها داخلي تاركة إطار مفرغ ذهبي اللون مازال يعانق كفي..

* * *

ملقية فوق الأرض الرملية.. البرد يعتري كل ذرة كونت جسدي.. عارية تمامًا إلا من غلالة رقيقة ملقاة فوق كتفي..

بشعره الأحمر يجاورني.. يحتضنني بعنف ليذيب ارتعاشة جسدي وسط ثناياه..

الظلام من حولنا.. أنظر للسماء.. لا شمس.. فقط إطار ذهبي اللون يعانق الصفحة السوداء..

الظلام.. الوحشة.. اللون الأسود المضيء يغمرني..

أرتدي ثوبي الأسود فأتلاشى وسط الكون لنصير واحدًا.. يضاجعني الأثير البارد المحيط بنا..

أصوات العويل والفزع يحملها الهواء نحونا..

– عرفوا أنني من أطفالها ؟؟

– يقولون الكثير..

– والكاهن ؟؟

– لا يقول الكثير..

يبدأ الصوت في التحول لهمهمات غاضبة.. وقع الأقدام الثائرة تقرع الذرات الرملية قادمة نحونا..

– ترحلين ؟؟..

– موتي خلاصي.. ترحل ؟؟..

– فيكِ خلاصي..

أنظر نحو الإطار الذهبي الذي ينتصف السماء وحيدًا.. لونه يبدأ في التلاشي تدريجيًا حتى يتماهى وسط الظلمة المحيطة به..

* * *

ثلاثة جروح تخترق ذراعي الأيمن.. وثلاثة تخترق ذراعي الأيسر..

جرح طولي بطول الجسد قد حفر فيه.. ينز ببطء كما يجب أن يكون..

تتدفق الدماء من ثناياي.. إرتعاشة جسدي لا تفارقني..

" فوسط نورك ستلد الظلام.. "

كل أهالي القرية يتطلعون نحو الصفحة العلوية آملين في أن تكون دمائي قربانًا يعيد الحياة لقرص كان يومًا ما ذهبيًا..

" ومن وسط ظلامك سيولد الكون.. "

فقط هو كان يرى النور الذي بداخل أحشائي ما زال ينبثق.. النيران التي ابتلعتها يومًا..

واقفًا وسط الظلال كما عهدته دومًا.. متسربلًا بملابس سوداء.. شعره الأحمر الثائر الذي يومض بآلاف الشموس المضيئة..

" يا سيد الأبدية.. يا بداية المنتهى..

صورتك تنطبع داخلي فلا تراها سوى عبدتك الفانية..

احفظنا يا من اهديتك رحمي لتبزغ منه الكون

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل.. "

تتسرب الدماء مني تدريجيًا.. الألم الحارق يتحول لنشوة.. تعتريني رغبة في الرحيل.. تتهاوى ركبتاي على الأرض الرملية ثم................

" يا سيد الأبدية.. يا بداية المنتهى..

منك مولدنا ومنك حياتنا وإليك سيكون المآل "

* * *

ينزعون جسدي المهترئ من مكانه ويلقون به وسط حفرة عميقة.. ثم يهيلون التراب فوقه ليمحوا ملامح المكان..

أراه أمامي ملقيًا مثلي في الهوة السحيقة وسط ذرات الرمال الخانقة بشعره الثائر الذي بدأ ينتابني الشعور أنه لم يكن أحمر كما ظننته دومًا..

يمد إلي بذراعه.. يبتسم.. أبتسم..

.. (..........) ..

.. زمان ..

كنت أشعلق عيني في السما

و أتخيلني باعديها للناحية التانية

عديت ولقيتني ..

واقفة على أرض تانية مالهاش سما

الأسهم المتداخلة

7 أغسطس 2006

اليوم تعرف أن تلك هي حدودك التي لا ينبغي عليك تخطيها.. أربعة جدران أثيرين لقلبك.. ليسوا مطليين ببقع ملونة بل مازالوا يحتفظون بلونهم الحجري المحبب لك.. ما يمكنك دون ملل من أن تستشعر بعض الأتربة حين تمرر يدك فوقها..

و ماذا أيضًا ؟؟.. فراش.. أو هكذا تظن.. يجاور الحائط مثلما أردت دومًا.. ليحصر الفراغ باستماتة ما بينك وبين الجدار الملاصق.. ليس مهمًا كم ستمكث عليه.. فقط هو نظيف.. لا أثر لآخر فوقه سواك..

لكان هذا كله غير ضروري لو لم يكن هناك ذلك المقعد في منتصف الغرفة.. مقعد خشبي كما زار مخيلتك أيامًا.. لا يهم أزيزه حين يتهاوى جسدك عليه.. ولا كل العلامات التي تنذر بانهياره القريب.. المهم أنه في منتصف الغرفة دون زيادة أو نقصان..

لا مخرج للغرفة.. لا يهم.. فكيف إذن دخلت ؟؟.. لا يشغلك.. المهم أنك بالداخل وأن تلك الجدران تظللك..

أخيرًا يتمتع بصرك بذلك الفراغ.. الأسطح الخالية.. كرهت أنت دومًا النقوش، لا تدري حتى الآن لماذا.. مازالوا يتعجبون من حديثك كلما أخبرتهم بهذا الأمر..

7 أغسطس 2006

تسجي وقتك في تبادل الجلوس بين الفراش والمقعد.. أحيانًا يكون الأمر بنسق معين موجود في رأسك.. وأحيانًا تكون العشوائية هي النسق ذاته..

تسمع بعض الأصوات تتوافد عليك من الخارج.. تؤمن نفسك بالمكوث أسفل الفراش تلك الأحيان.. تحضر كلامًا كثيرًا تقوله لو سألك أحدهم شيئًا.. حين تخفت الأصوات.. تنصب قامتك جالسًا على مقعدك المفضل..

تكتب اسمك فوق جانب صغير من الجدار كي لا تنساه.. تنظر بحزن.. كان الحائط أفضل حينما كان خاليًا.. لا يهم.. سيمكنك تعديل الأمر لاحقًا..

7 أغسطس 2006

لحيتك صارت نامية.. جسدك تصلب في الوضع جالسًا.. شفتاك تعبتا من تكرار أحرف مكونة لاسم قد نسيته..

شيء ما يجعلك تشعر بأن الجدران قد بدأت تضيق شيئًا فشيئًا.. هل الغرفة تضيق أم أنت من تتعملق..

تبدأ في إطلاق أسماء على الأحجار من حولك محاولًا الاستمتاع قليلًا..

تنعي عقلك الذي جعل الآخرين يزاحمونك بعدما كنت وحيدًا تمامًا..

7 أغسطس 2006

اليوم خط ما قد ظهر فجأة فوق الحائط الأيمن.. الأيسر.. الأيمن لو نظرت تجاه الحائط.. والأيسر إذا نظرت تجاه الحائط الآخر.. أعني بالآخر الذي لا تنظر نحوه حين تنظر للسابق..

للخط سهم في نهايته.. أو بدايته إذا كنت عند الحائط الآخر.. تعدل من وضعك عدة مرات لإدراك الاتجاه المقصود..

7 أغسطس 2006

تزداد الأسهم كل فترة مكونة شكلًا متماسكًا لا بداية له.. تمرر يدك فوق الجدار باحثًا عن مركز تشير نحوه.. لا مركز..

المركز.. تعكس اتجاهك.. المركز..

7 أغسطس 2006

تفتح عينيك.. تغلقهما.. تفتح عينيك.. تغلقهما..

إهداء ثانٍ ..

لشوية مطر وعمود نور كانوا مستنيينا.. لأكتر كتاب بحبه كان في إيدي.. وصوت التشيللو في وداني.. لشهر أكتوبر بالخصوص.. لقصيدة "امتداد" وما أقدرش أكون إنسان بدون أرض انتمي لها.. للجري وسط الشوارع الفاضية.. لشتا إسكندرية اللي مفيش زيه.. لقطر أبو قير والترام الصفرا.. للتوكتوك اللي نفسي أركبه.. للتذاكر اللي بنجمعها مش عارفة ليه..

لشلة (الكريستال) وأحلامنا اللي بدأناها أكبر من العالم كله.. لإطلالة وكل اللي قعدوا حوالين الترابيزة المستطيلة..

لأرض بحاول أتعود عليها وسما باحب أشعلق عيني فيها..

وبالمختصر..

. للجناحين اللي باطير بيهم..

إهداء أول ..

أوزوريس(ى)،

عسى أن نلتقي في العالم الآخر الذي نبغيه مثلما التقينا يومًا في هذا العالم..

المؤلفة في سطور

جيلان الشمسي

– من مواليد الإسكندرية، 1986.

– حاصلة على بكالوريوس الهندسة، جامعة الإسكندرية، 2008.

– لها قصص نشرت في كتاب إطلالة مع آخرين.

البريد الإلكتروني:

g_elshamsy@yahoo.com



يومًا ما سأكون شمسًا

ما طمأنني هو أنني حين أقف عند أول النفق وأرنو لأعلى أرى البناية واضحة والبقعة التي وقفت عندها يومًا ما تزال خالية.. أيأتي أم ينكرني؟؟.. الدفء الذي يهب عليَّ من الداخل يدفعني دفعًا للتواري داخل النفق..

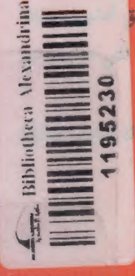
كان النفق خاليًا.. معبقًا برائحة الفراغ الذي أعشقه.. لا يضيئه سوى بضع مصابيح متناثرة على جانبي السقف بنورها الأصفر الصارم..

لا أحد كان هناك.. لم يشعروا بعد بضرورة الإخلاء.. لم يسمعوا الدقات التي تغلف المدينة.. أو ربما هم متوارون مثلي في الأنفاق المجاورة..

لم يكن هناك سواي في المكان وسيدة ما تجلس على امتداد النفق... الممتلئتان بالعروق.. ظهرها المتكئ فوق ذرات الجدار.. ملابسها... قدمها بلا لون.. يخالني الشعور بأنها هنا منذ الأزل..

ألقي نظرة أخيرة على البناية والرصيف الخالي أمامها.. لا أحد هنا... التي كانت تتلصص منها الأعين باتت مغلقة تمامًا..

الغلاف: بسمة صلاح




9 789774 900969

